الباب الثانى

عقائد الفاطميين فى شعر المؤيد

الفصل الأول
الولاية والتوحيد
الولاية

لن أتحدث في هذا الباب عن جميع عقائد الفاطميين وما يتمايزون به عن غيرهم من أصحاب الفرق الإسلامية، وإنما يقتصر حديثنا عن العقائد التي ورد ذكرها في شعر المؤيد. وسيكون حديثنا عن هذه العقائد نقلا عن كتب الفاطميين أنفسهم.

اعتقد الفاطميون أن النبي صلى الله عليه وسلم أبان لهم ست دعائم للإسلام بغيرها لا يكون الإنسان مسلما مؤمنا وهذه الدعائم هي على الترتيب الذي ذكره صاحب عيون المعارف[1] الصلاة – والزكاة – والصوم – والحج – والجهاد – والولاية. وأضاف بعض علماء المذهب إلى الدعائم الطهارة أو الوضوء[2] فتكون دعائم الإسلام عندهم سبعة أولها الطهارة وآخرها الولاية. ومن قال إن دعائم الإسلام ستة جعل الطهارة إحدى أركان الصلاة[3] ولكننا نجد في كتاب دعائم الإسلام – وهو أول كتاب نعرفه في فقه المذهب الفاطمي وعليه عماد جميع كتاب هذا المذهب إلى الآن – نجد أبا حنيفة مؤلفه جعل الطهارة دعامة مستقلة عن الصلاة[4] وكذلك في الرسالة الوزيرية ليعقوب بن كلس[5] أي أن المؤلفين اختلفوا في أمر الطهارة بينما أجمعوا على غيرها من الدعائم، إلا أن صاحب أسرار النطقاء قال «ومما جاء في هذه الستة الفصول التي هي دعائم الإسلام مثل الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وأن سابعها الولاية[6] فكأنه كان يقول طورا بأن الطهارة إحدى الدعائم[7] ثم عاد فقال بل الشهادتين ولم أجد «الشهادتين» دعامة من دعائم الإسلام في أي كتاب من كتب المذهب الفاطمي إلا في أسرار النطقاء.

(١) عيون المعارف ص ٥.
(٢) سرائر النطقاء ص ٥٠.
(٣) عيون المعارف ص ٦.
(٤) دعائم الإسلام ج ١ ص ٨.
(٥) انظر الأستاذ آصف فيظي في JRAS P I 1934
(٦) أسرار النطقاء ص ١٣٣.
(٧) سرائر النطقاء ص ٥٠.

واختلف علماء هذا المذهب أيضا فى ترتيب الولاية. فالقاضى النعمان وضع الولاية فى أول الدعائم. بينما نجد عالما نعاصره وهو جعفر بن منصور اليمن جعل الولاية آخر هذه الدعائم[1] والمؤيد الذى أتى بعد النعمان قال «إن الله أوجب طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهادا. وجعل ماسك الجميع ورابطه والمانع من اختلاله ولاية الوصى والأئمة التى هى آخر فرض الدين. وإذا بطلت من الدين ولاية الوصى بطلت الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وعاد الدين جاهلية والولاية من الدين العمدة»[2] وقال مرة أخرى «رتب النبى للدين ست دعائم بإزاء الستة أيام (التى خلق الله فيها العالم) طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهادا. وكما أن الله حفظ نظام الأيام الستة باليوم الذى هو الاستواء على العرش كذلك جعل النبى حفظ نظام الوضائع الستة بوصيه الذى آخى بينه وبين نفسه فأظهر ولايته»[3] وكذلك قال صاحب عيون المعارف إن الولاية خاتمة دعائم الإسلام[4] وعن الباقر «بنى الإسلام على سبع دعائم الولاية هى أفضلها»[5]. والولاية عند الفاطميين هى اعتقاد وصاية على وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذرية على بن أبى طالب وفاطمة بنت الرسول ووجوب طاعة الوصى والأئمة. وأوّل الفاطميون قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[6] بأن أولى الأمر هم الأئمة من ذرية الرسول[7] وأن الله تعالى قرن طاعته بطاعة رسوله وطاعة الأئمة، ولن يقبل الله من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض عليه طاعته من أوليائه الذين هم الأئمة من أهل البيت[8]. وهذا المعنى كثير جدا فى كتب الفاطميين ومن ورث مذهبهم أفردوا فيه فصولا طوالا، لأن الولاية كما رأينا أقوى دعائم الإسلام فى عقيدتهم. لذلك لا نجد كتابا من كتبهم يخلو من حديث طويل عن طاعة الأئمة، من ذلك قول القاضى النعمان «فإن أطاع المرء الله ورسوله

---

(١) سرائر النطقاء ص ٥.

(٢) المجالس ج ١ ص ١٥٦.

(٣) عيون المعارف ص ٥.

(٤) المجالس ج ١ ص ٢١.

(٥) تأويل دعائم الإسلام ج ١ ص ٧ و٨.

(٦) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٧) كتاب الهمة ص ١٧.

(٨) الهمة ص ٧٢.

وعصى الإمام أو كذب به فهو آثم فى معصيته غير مقبولة منه طاعة الله وطاعة رسوله»[1] وقال جعفر بن منصور «لا دين إلا بطاعة علىّ وولايته ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبته ولا قبل للأمة فرض ولا سنة ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول ومولاته ومحبته والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله»[2] وقال المؤيد «فلو أن رجلا عمل بفرائض الله وسننه التى جاء بها رسوله كلها ثم لم يقترن بعمله اعتقاد ولاية الرسول عليه الصلاة والسلام الآتى بها لم يغن عنه ما عمل فتيلا ولم يتبع غير أهل النار سبيلا إذ ولاية الرسول كالمركز الذى تدور عليه دائرة الفرائض فلا يصح وجدها إلا بوجوده وإذا كانت هذه نسبة الرسول فى حياته كانت نسبة من يوليه أمر دينه مثلها وكمثل ذلك نسبة من يليه ومن يلى من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد وورثها ولد عن ولد إذ الولاية هى الأصل الذى يدور عليه موضوع الفرائض»[3]. وروى عن المعز لدين الله أنه قال «إن الله قد فضلنا وشرفنا واختصنا واصطفانا وافترض طاعتنا على جميع خلقه وجعلنا أئمة لجميع عباده»[4] وفسر المعز قول الله تعالى «وأطيعوا الله... الآية. بقوله فنحن والله أولو الأمر الذين تعبد الخلائق بطاعتنا»[5] ونسبوا إلى جعفر الصادق أنه قال «بنا يعبد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله فمن طاعنا فقد أطاع الله ومن عصانا فقد عصى الله»[6]. وليست الولاية رأيا خاصا بالفاطميين بل هى عقيدة الشيعة على اختلاف فرقهم[7] قال بها الغلاة المتطرفون فى التشيع. كما قال بها المعتدل الذى لم يفرط فى تكفير سواه. والفاطميون ما هم إلا فرع من فروع الشيعة فلا غرابة إذا رأينا شاعرا كالمؤيد يكثر من ذكر الولاية فى ديوانه فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده دون الإشارة إلى وجوب طاعة الأئمة بنفس المعنى الذى ذكرناه آنفا كقوله:

وهم أولو الأمر أئمة الهدى عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الأمم قاطعة من عرب ومن عجم

---

(١) كتاب الهمة ص ١٣.

(٢) سرائر النطقاء ج ٢ ص ٣٨

(٣) المجالس ج ١ ص ٥.

(٤) المجالس والمسايرات ص ٨٥.

(٥) دعائم المجالس والمسايرات ص ٨٣.

(٦) دعائم الإسلام ص ٣٩

(٧) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٦ - ٢٠ ومقالات الإسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٤٩.

اقرأ أطيعوا الله والرسولا ثم أولى الأمر بهم موصولا

ثلاث طاعات غدت معلومه في آية واحدة منظومه[1]

وأهم شروط الولاية وجوب معرفة الإمام. واستدل الفاطميون على وجوب معرفة الإمام بحديث قيل إنه للنبى صلى الله عليه وسلم وهو «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[2] وروى عن جعفر الصادق أنه فسر الجاهلية بقوله «الجاهلية جاهليتان جاهلية كفر وجاهلية ضلال فجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبى. وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه[3] ونجد هذا الحديث عن النبى مرويا فى كتاب بحار الأنوار[4] مما يثبت أن الشيعة الأثنى عشرية اشتركوا مع الفاطميين فى هذه العقيدة ونجد حديثا آخر عن النبى «معرفة الله معرفة إمام الزمان»[5] ونظم المؤيد هذه العقيدة فى شعره[6].

ولنتحدث الآن عن عقيدة الفاطميين فى علىّ وذريته من الأئمة بعد أن علمنا أن ولاية هؤلاء الأئمة هى قوام عقيدة الشيعة.

قال الفاطميون إن لكل نبى وصيا يكل إليه أمر المؤمنين بعد النبى وأن الله تعالى هو الذى يوحى إلى النبى بإعلان الوصى الذى اختاره الله[7] فكان وصى آدم هابيل[8] ووصى نوح ابنه سام ووصى إبراهيم ابنه إسماعيل ووصى موسى أخاه هارون ووصى المسيح شمعون الصفا[9].

وكما أن هؤلاء النطقاء أوصياء خلفوهم فى هداية الناس وجب أن يكون لخاتم الأنبياء وصى. وهذا الوصى هو على بن أبى طالب وأن الله تعالى أمر نبيه أن يبلغ وصاية على إلى

---

(١) القصيدة الثانية ١٢٥ – ١٣٠.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٦.

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٢١.

(٥) كلامى بير ص ٢١.

(٦) القصيدة الثانية والثالثة.

(٧) الفترات ص ١٢ ب.

(٨) فى رسالة البيان لما وجب من معرفة الصلاة فى نصف رجب (مخطوط رقم ٢٥٧٤٠) أن آدم كان له وصيان هما هابيل وشيث.

(٩) أما شمعون فهو سمعان بن يونا وقد سماه المسيح صفا الذى معناه بطرس (راجع الإصحاح الأول ٤٢ من إنجيل يوحنا) وفى الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (ص ٣٥ طبع مطبعة عين شمس سنة ١٩٢٣) أن بطرس الرسول دعى إلى تلمذة المسيح قبل جميع الرسل ولذلك سمى رأس الرسل أو أولهم. كما نجد فى العهد الجديد ولاسيما فى إنجيل يوحنا فى مواضع متعددة أن سمعان بن يونا هو الذى سماه المسيح بطرس أو صفا وأمره أن يرعى بعده خرافه أى المؤمنين به.

الناس إذ أولوا قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] بأن هذا أمر من الله تعالى إلى نبيه الكريم للنص على وصاية على بن أبى طالب فنزلت فريضة ختم الله بها فرائض الدين وأوضح معها نهج الهدى للمهتدين[2] ورووا أنه نقل إلى جعفر الصادق أن الحسن البصرى روى عن النبى أنه قال: «إن الله أرسلنى برسالة فضاق بها صدرى وخشيت أن يكذبنى الناس فتوعدنى إن لم أبلغها أن يعذبنى» فقال الصادق لمن نقل إليه ذلك: فما حدثكم البصرى بالرسالة؟ قيل له: لا، قال: والله إنه ليعلمها ولكنه كتمها متعمدا. قيل: يا ابن رسول الله فما هى؟ فقال: إنها فى شأن ولاية على[3]، ومعنى هذا أن النبى كان فرقا من تبليغ رسالة النص على علىّ حتى أمره الله بذلك يوم غدير خم[4] ومن الطريف أن صاحب سرائر النطقاء قال فى هذا الشأن «إن النبى لما علم أنه لا ولد له يرث مقامه وخاف أن تخرج الإمامة من عقبه زوج لعلىّ ابنته لتكون الإمامة والوصاية باقية فى عقبه»[5] فكأنه أراد أن يثبت الوصاية لعلىّ قبل أن يتزوج علىّ من فاطمة، ولكنه أظهر النبى الكريم فى صورة لا تتفق مع ما كان عليه النبى من سمو فى الخلق وانصراف عن مطالع الملك، ومهما يكن من شىء فقد اعتقد الفاطميون بوصاية علىّ، وأن الله تعالى لم يبعث نبيا ولا إماما إلا وهو ينصب له خليفة يخلفه فى حياته ويقوم بأمر الأمة بعد وفاته[6] فإن الرسول من البشر والبشر محتاج فى إقامة مصلحته إلى وزير يستشيره فى أسبابه. وأسباب الدين أعلى من أسباب البدن. وهذا تأويل قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[7] فكل دور من أدوار الأنبياء لا يكمل إلا باثنين ناطق وهو النبى وصامت وهو الوصى[8] وهذه العقيدة أيضا من العقائد التى اشترك فيها الفاطميون مع غيرهم من فرق الشيعة المختلفة كما ورد ذكر على بن أبى طالب ملقبا بالوصى فى الشعر العربى منذ صدر

---

(١) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٥.

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٧.

(٤) المجالس ج ١ ص ٥.

(٥) سرائر النطقاء ص ٣٩.

(٦) أسرار النطقاء ص ١٣٠.

(٧) سورة الفرقان الآية: ٣٥.

(٨) الفترات والقرانات ص ٥٤ – ٥٥.

الإسلام، وبذلك أيضا تحدث المؤيد فى شعره:

لو أرادوا حقيقة الدين كانوا تبعـا للـذى أقـام الرسـول

وأتـت فيه آية النص «بلغ» يـوم «خم» لما أتى جبـريل[1]

وفرق الفاطميون بين الوصاية والإمامة، فلم يكن على بن أبى طالب إماما من أئمتهم كما قال بعض الكتاب المتأخرين إن عليا كان أول أئمتهم، بل ذهب الفاطميون إلى أن «الإمامة فى الرتبة دون الوصاية»[2] فعلىّ كان وصى النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت الإمامة بعده إلى الحسن بن على وهو أول أئمتهم وبعده كانت الإمامة فى الحسين والإمامة بعد الحسين[3] لا تكن إلا فى ولد بعد والد، وهذا أصل من أصول الكلام على انتقال الإمامة فى الأئمة من ذرية علىّ، وهذا التأويل الباطنى لقوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ إلى يوم الدين[4].

ولكى يثبتوا وصاية علىّ نجدهم قد رووا أحاديث كثيرة عن النبى كقوله «علىّ منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»[5] وأخذ المؤيد هذا المعنى ونظمه فى قوله:

ولكم يشد قوى بنى هارونه ولكـم يهد بنا بنى هامانه[6]

كما أوّلوا كثيرا من الآيات القرآنية قالوا إن بها إشارة إلى على بن أبى طالب كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[7] فرووا أن رسول الله قال فى شرح هذه الآية الكريمة «أنا المنذر وعلىّ الهادى من بعدى»[8] وجاء فى الدعائم عن بعض الأئمة الفاطميين أنه قال: المنذر رسول الله وفى كل زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله فأول

(١) القصيدة الخامسة.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٩١.

(٣) الفترات ص ٨٠.

(٤) سورة الزخرف الآية: ٢٨ – المجالس والمسايرات ٧٦ ومن الطريف أن الإسماعيلية الأغاخانية اليوم لا يعتبرون الحسن بن علىّ إماما من أئمتهم وذهبوا إلى أنه كان مستودعا لأخيه الحسين بن علىّ

(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٦ ورواية كلامى بير ص ٢٠ أن النبى قال لعلى: أنت منى بمنزلة هارون من موسى.

(٦) قصيدة ٣٨ – ١٠.

(٧) سورة الرعد الآية: ٧.

(٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩ وجاء فى المجلد السابع ص ٢ من بحار الأنوار – قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال رسول الله: «أنا المنذر وعلىّ الهادى من بعدى. يا علىّ بك يهتدى المهتدون».

الهداة بعده علىّ ثم الأئمة من بعده»[1] وفى ذلك قال المؤيد:

ولآبائـــه عنـى الله إذ قا ل تعالى «لكل قوم هاد»[2]

وفسروا قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[3] بأنه «إقسام بما هو غاية القسم أن ذلك الكتاب الناطق المترجم عن هذا الكتاب الصامت لاريب فيه أنه مختار من الله لمحمد وصيا كاختيار محمد من الله سبحانه نبيا»[4] وأكدوا هذا التفسير بقصة رووها عن علىّ نفسه أنه كان يتلو فى بعض الأيام القرآن الكريم فانتهت به القراءة إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[5] فترك علىٌّ المصحف على رأسه وقال له: «يا كتاب الله انطق» وكررها ثلاث مرات فأشار بهذا إلى أنه هو الكتاب الناطق وأن القرآن هو الكتاب الصامت[6] وفى حديث عن النبى أنه قال لعلى «أنت كتاب الله تعالى»[7] فالكتاب هو الوصى الكتاب الحى الناطق المعبر عن الكتاب الصامت الذى هو القرآن وكما أن الكتاب كتابة رب العالمين فالوصى كذلك كتابة رب العالمين بمعنى أنه خلقه الشريف وصفوته والمؤيد بروح القدس من أمره»[8] وفى ديوان المؤيد:

والكتاب النطوق بالحق والصد ق وعنـه يكشـف المحجوب[9]

وقوله:

وأنتـم كتـاب الله يثبـت راشـدا محقا ويمحو مبطلا عنه غاويا[10]

ونلاحظ فى هذا البيت الأخير أن المؤيد قال: «وأنتم» يخاطب الأئمة ولم يخاطب عليا وحده فكأنه أشرك الأئمة فى صفة من صفات الوصى وسترى كيف أن صفات النبى تطلق

---

(١) دعائم الإسلام ص ١٧.

(٢) ق ٣٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢ ونلاحظ أنه لا يوجد فى هذه الآية قسم ولكن تأويل الفاطميين جعلوها قسما.

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤١.

(٥) سورة الجاثية الآية: ٢٩.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٥٩.

(٧) كلامى بير ص ٨٣.

(٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٩٩ وفى أساس التأويل ص ٨٧ والكتاب فى الباطن هو الإمام.

(٩) القصيدة الثالثة.

(١٠) القصيدة السابعة عشر.

أيضا على الوصى كما تطلق على الأئمة. فمن ذلك قولهم: الكتاب دليل على إمام كل عصر[1]. وقالوا أيضا إن الوصى هو المقصود بقوله تعالى «الذكر» فى قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[2] قالوا يعنى الوصى عليه السلام وهذا وصى مبارك وقوله: «أنزلناه يعنى أقمناه فى منزلة الأوصياء[3] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴾[4] أى يسأل محمدا صلى الله عليه وسلم عما أمره الله من إقامة الوصى وإقامة الشريعة فإذا قال قد نصبه فأصحابه وقومه يسألون»[5].

وقال المؤيد:

وهو الذكر الحكيم الحى قامت دلائله من الذكر الحكيم[6]

وفى الفترات أن «الزبور» هو الأساس ففى تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[7] أنه قصد الوصى وهذا ما أشار إليه المؤيد بقوله:

لهم معانى الزبر وفضل آى الزمر[8]

والوصى والأئمة من بعده هم الذين أقسم الله بهم[9] بقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾[10] وبذلك تحدث المؤيد فى شعره.

وبه فى القرآن قد أقسم الله وحق بمثله الإقسام
إن معنى مواقع الأنجم الزهر هم العترة الهداة الكرام[11]

(١) الفترات ص ٢٢٢.
(٢) سورة الأنبياء الآية: ٥٠.
(٣) الفترات ص ٩١.
(٤) سورة الزخرف الآية: ٤٤.
(٥) الفترات ص ٨٩٢.
(٦) القصيدة الحادية والخمسون.
(٧) سورة الأنبياء الآية: ١٠٥.
(٨) القصيدة.
(٩) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠ وعيون المعارف ص ٦.
(١٠) سورة الواقعة الآية: ٧٥ – ٧٦.
(١١) القصيدة الثانية عشرة.

ووضح صاحب الفترات هذه العقيدة بقوله: «فكما أن النجوم أمان أهل السماء فكذلك الأئمة أمان لأهل الأرض»[1]. ورووا عن النبى: «أهل بيتى أمان لأهل الأرض»[2].

وقال الفاطميون إن منزلة على بن أبى طالب من النبى كمنزلة اللوح المحفوظ من القلم فى عالم الأمر[3] وقد ذكرنا أنهم اعتقدوا أن القلم أو السابق هو أقرب الحدود الروحانية إلى الله تعالى. وأن اللوح أو التالى هو الحد الذى يلى القلم. وسنذكر أن الله أبدع القلم واللوح من نوره وذكرنا أيضا أن القلم ممثول للناطق واللوح ممثول للوصى. ولهذا قال الفاطميون إن محمدا وعليا خلقا من نور واحد ورووا أن عليا قال: «أنا ومحمد من نور واحد من نور الله تعالى»[4] وأنه قال أيضا: «نحن نور من نور الله وشيعتنا منا»[5] وبهذا نستطيع أن نفهم قول المؤيد:

يـا لوح دين الهـدى ويا قلمـا ناسـب لـوح الإلـه والقلمـا[6]

وقوله:

مـن نـور ربـى خلقـوا طابـوا وطـاب الخلـق[7]

وقوله:

غصـن مـن القلـم المـد وصنوه ومـن النبى الأبطحى وحيدر[8]

ومع هذا كله نجد المؤيد مرة أخرى قد قال «إن الأئمة خلقوا من الطين كغيرهم من البشر» فذكر فى مجالسه «أن أولياء الله من طينة الأرض معجونون وللكون والفساد من حيث أجسامهم مضمونون يمسكهم الشراب والطعام وتلحقهم الأمراض والآلام ويقضى عليهم عند

---

(١) الفترات والقرانات ص ٦٦.

(٢) فى بحار الأنوار ج ٧ ص ٥ – النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض وعن على زين العابدين «نحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء» ج ٧ ص ٣.

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠.

(٤) الأنوار اللطيفة هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٢٣.

(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٣.

(٦) القصيدة التاسعة عشرة.

(٧) القصيدة الخامسة والعشرون.

(٨) القصيدة السابعة.

استيفاء أيامهم الحمام»[1] وقال فى ديوانه:

قد خلقتم من طينة وخلقنا نحن منها ولكن بذى ترتيب[2]

ولكنه عاد فقال فى ديوانه أيضا:

إن أجسامكم لناشئة الطين الذى منه شق منا القلوب[3]

فكأنه ميز الطين الذى خلق منه الأئمة عن طين سائر البشر، فجعل طين الأولياء أعلى قدرا من طين غيرهم من البشر، بأن جعل أجسام الأئمة عقلا خالصا[4] ومهما يكن من شىء فالمؤيد نفى الألوهية عن الوصى والأئمة بخلاف ما دان به كثير من فرق الغلاة الذين اضطروا المؤيد فى كثير من مجالسه وأشعاره إلى الرد عليهم وتنفيد ترهاتهم فى تأليه على والأئمة من ذريته بل نراه قد صرح بلعن هؤلاء الغلاة ورماهم بالضلال والكفر.

والعن إلهى غاليا وقاليا ولا تذر فى الأرض منهم باقيا[5]

وقوله:

قد حاز غايات العلا حتى غلا قوم وضلوا فيه مرضى السبل
قالوا هو الله الذى يأتى كما أخبرنا من الغمام فى ظلل[6]

فقد رد على الغلاة الذين ألّهوا عليا وفسروا قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[7] بأن الله أراد بذلك عليا فهو الذى يأتى فى ظلل الغمام والذى قال هذه المقالة أتباع بنان بن سمعان النهدى كما حدثنا بذلك الشهرستانى[8] والبغدادى

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦١.

(٢) القصيدة الثالثة.

(٣) القصيدة الثالثة.

(٤) قال المؤيد عن ذلك فى مجالسه: إن نفس الأنبياء والأوصياء والأئمة المفتقرة إليها نفوس الخلق بما لها من المنزلة العلية والرتبة السنية أشرف النفوس وكانت جسمه من جهة المجاورة لنفسه الزكية أشرف الأجسام (المجالس ج ٢ ص ١٥).

(٥) القصيدة الثالثة.

(٦) القصيدة الرابعة.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢١٠.

(٨) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٨ وفى الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ اسمه بيان بن سمعان التميمى وهو الأصح.

وغيرهما من مؤرخى الفرق. وشبه المؤيد هؤلاء الغلاة الذين ألّهوا عليا بالنصارى الذين ألهوا المسيح عيسى بن مريم:

ومـنْ قـال قـوم فيـه قـولا مناسبـا لقـول النصـارى فـى المسيح مضاهيا[1]

وقال فى مجالسه: وتأملنا حال النصارى وبحثنا عن اعتقادهم فإذا هم يدينون بإلهية البشر فى أصل الاعتقاد وإن اختلفوا فى الفروع. ونظرنا من يشبههم من هذه الأمة فإذا هم الغلاة الذين يدينون مثلهم بإلهية البشر فمنهم من يغلو فى على وحده ويجعل النبى رسوله[2] ومنهم من يغلو فيهما جميعا ولكن يقدم عليا وهؤلاء يسمون العينية ومنهم من يقدم محمدا وهؤلاء يسمون الميمية ومنهم من يقول بإلهية محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ويراهم شيئا واحدا كما أن النصارى يرون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة وهؤلاء يسمون الخمسة[3] فهذه الفرق على اختلافها هى نصارى هذه الأمة وسمة الرفض لازم لهم لزوم القلادة للعنق وشيعة الحق منزهون عن سماتهم وأوصافهم[4] فالفاطميون إذن لم يغالوا فى الأئمة كما ذهب بعض الشيعة ثم إن المؤيد كان يرى الرافضة هم الغلاة وجاء أيضا فى ديوانه:

دعنى من الرفض وأصحابه إنـى بـرىء منهـم دعنى[5]

ومع ذلك كله فالمؤيد سمى عليا بمسيح هذه الأمة «وشبهه بالمسيح».

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى: «لولا أنى أتخوف عليك أن يقول الناس فيك ما قالت النصارى فى المسيح لقلت فيك قولا لا تمر بملأ منهم إلا ويأخذون من تراب تحت قدميك ويشربون من فضل طهورك»[6] وأن عليا قال يوما بمسجد الكوفة «أيها الناس اعلموا أننى المسيح الذى أبرىء الأكمه الأبرص»[7]. وأجرى المؤيد التشبيه بين المسيح وعلى

---

(١) القصيدة السابعة عشرة

(٢) قال بهذا الرأى فرقة الذمية إذ زعموا أن عليا هو الله وانه هو الذى بعث محمدا فادعى لأمر لنفسه (الفرق ص ٢٣٩).

(٣) هذه الفرقة التى سماها البغدادى بالشريعية (الفرق بين الفرق ص ٢٣٩).

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٦

(٥) القصيدة الثانية والأربعون بيت ٢.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧.

(٧) الملك الدوار ص ٤٣

أن المسلمين اختلفوا فى علىّ كما اختلفت القوم فى عيسى بقوله «افترق الناس فى المسيح ثلاث فرق فقالت فرقة هو الله وابن الله وهم النصارى. وقالت فرقة هو ولد زنا وهم اليهود. وقالت فرقة هو رسول الله وهم المحقون. وكمثل ذلك اختلفت الناس فى علىّ ثلاث فرق. فقالت فرقة فيه ما قالت النصارى فى المسيح تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرا وهم الغلاة. وفرقة قالت فيه إنه أخو رسول الله ووصيه وهم المحقون. وقوم منعوه حقه وإرثه كما يمنع ولد الزنا تراث أبيه وهم المخالفون أى النواصب»[1]. وبهذا فسر الفاطميون ما رووه عن النبى الكريم «إن أمة بنى إسرائيل أى اليهود كلها ضالة مضلة إلا فرقة منهم ناجية وكذلك النصارى أمة أخى عيسى كلها ضالة مضلة إلا فرقة منهم ناجية»[2].

ولكنا نرى المؤيد فى شعره قد قال:

ماسح مسيح الأمم وأحيى بمحيى الرمم[3]

وقال فى مجالسه «وأما كون المسيح يمسح الصورة المفارقة للحياة فيرد فيها الحياة لكونه روح الله فالنبى كذلك بكونه موحى إليه روح من أمر الله قال تعالى فى كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[4] يمسح الصورة الميتة من جهة النفوس وهو الموت الحقيقى فيلقى روح الحياة فيها على قدرها فى القبول والاحتمال يدل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[5]. وإذا كان الله سبحانه وتعالى حكى عنه فى كتابه يحيى الخلق ممن يستجيب له فهو مسيح بالحقيقة»[6] فكأنه قال إن النبى الكريم هو أحق بلقب المسيح، بعد أن رأيناه قد شبه عليا بالمسيح، وفى نفس القصيدة التى شبه فيها النبى بالمسيح نراه شبه عليا والأئمة من ذريته بشمعون الصفا أساس المسيح ووصيه[7].

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧.

(٢) الفترات والقرانات ص ٤١

(٣) القصيدة الخامسة والعشرون.

(٤) سورة الشورى الآية: ٥٢.

(٥) سورة الأنفال الآية. ٢٤.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧

(٧) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٤٨

ووال شمعـون الصفا وأوْلـه منك الصفا[1]

ونرى المؤيد مرة ثالثة قد شبه الإمام المستنصر الفاطمى بالمسيح:

يا مسيحـا يكلـم النـاس طفـلا ضـل فـى شأنـه أخو اللب لبا
لسـت دون المسيـح سمـاه ربـا أهـل شـرك ولا نسميـك ربا[2]

وفى القصيدة الستين نراه قد وضح أوجه الشبه بين المستنصر والمسيح فقال إن المسيح كلم الناس طفلا فكذلك حوى المستنصر الإمامة والملك طفلا، والمسيح أحيا الموتى وكذلك أحيا المستنصر بعلمه لجهلاء، والمسيح أبرأ العمى والمستنصر هدى من كانت بعينه غشاوة إلى دين الحق، من ذلك نستطيع أن نقول إن الفاطميين خلعوا على الوصى والأئمة جميع الصفات التى خلعوها على النبى الكريم، فكل فضيلة للنبى وصفوا بها الأئمة إلا فى فضيلة النبوة والرسالة «مرتبة الاستبداع» أما مرتبة الإمامة والوصاية فسموها مرتبة الاستقرار[3]، ولهم حديث طريف عن تنقل هذه المراتب إذ قالوا إن إبراهيم الخليل اجتمعت لديه «مرتبة الاستيداع» وائتمن على مرتبة الاستقرار فأورث إسحق مرتبة الاستيداع، وأعطى إسماعيل مرتبة الاستقرار، وتوارث أولادهما هذه المراتب حتى وصلت مرتبة الاستقرار إلى عبد المطلب جد النبى واستودع مرتبة الاستيداع، فقسم هذه المراتب بين ولديه أبى طالب وعبد الله وبهذا فسرا ما روى عن النبى «لم أزل أنا وأنت يا على من نور واحد ننتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية كلما ضمنا صلب ورحم ظهر لنا قدرة وعلم حتى انتهينا إلى الجد الأفضل والأب الأكمل عبد المطلب فانقسم ذلك النور نصفين فى عبد الله وأبى طالب، فقال الله تعالى كن يا هذا محمدا ويا هذا كن عليا، ولكن عبد الله توفى فاستودع عبد المطلب مرتبة النبوة والرسالة لمحمد ثم استودع أبا طالب مرتبة الوصاية والإمامة أيضا، وبعد وفاة أبى طالب اجتمعت لمحمد هذه المراتب فكان محمد مجمعا للرتب جميعها وهى النبوة والرسالة والإمامة والوصاية فكان باجتماعها فيه أعلى من جميع المخلوقات، حتى كان يوم «غدير خم» سلم فيه النبى مرتبة الاستقرار لعلى ومنه إلى الأئمة من ولده حتى تجتمع هذه

---

(١) القصيدة الخامسة والعشرون.

(٢) القصيدة الخامسة عشرة.

(٣) هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦٨.

المراتب مرة أخرى فى قائم القيامة[1] ولهذا قالوا إن صاحب مرتبة الاستقرار أى الوصى والأئمة من ذريته له نفس الفضائل والصفات التى لصاحب مرتبة الاستيداع إلا فى الرسالة والنبوة[2]. فقالوا مثلا إن النبى صلى الله عليه وسلم هو «وجه الله» المذكور فى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾[4] وفى قول النبى «الدنيا ملعونة وملعون كل ما فيها إلا ما أريد به وجه الله»[5]. ففسروا ذلك بأن وجه هو الإبداع الأول التام الكامل الذى من عداه مفتقر إليه وهالك كل من لم يكن به علاقة وهذا العالم الروحانى «القلم». مثله فى العالم الجسمانى هو رسول الله[6] وقال رسول الله «أنا وجه أمتى» بمعنى أنهم به يعرفون وإليه ينسبون[7]. فجاءت هذه الصفة أيضا إلى على بن أبى طالب. روى عن أبى ذر أنه قال «سمعت أمير المؤمنين وهو يقول: أنا وجه الله»[8] الذى ذكره بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[9] وعلى هذا النحو وُصف الأئمة الفاطميون إذ قال المؤيد فى ديوانه:

فوجهـك وجـه الإلـه المنيـر ونـورك من نوره كالحجاب[10]

وقوله:

شهدت بأنك وجه الإله وجـه الموالى به ناضرة[11]

وكذلك وصفوا عليا بأنه «يد الله» فكما أن الأيدى تجر النفع إلى الأجسام وتدفع الضرر عنها فعلىّ من الدين ومعرفته توحيد الله محل اليد من الجسم. فعلىّ يدافع عن التوحيد

---

(١) هامش جامع الحقائق ج ١ ص ٦٨ – ٧٠.

(٢) عيون المعارف ص ٣٠٨.

(٣) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٢.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢١١

(٦) المجالس ج ١ ص ٢١١.

(٧) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢.

(٨) سرائر النطقاء ص ٥٧.

(٩) سورة البقرة الآية: ١١٥.

(١٠) القصيدة ١١.

(١١) القصيدة ٤١.

بنفى التعطيل والتشبيه لسانا وعلما ويحمى حريم الدين بأسا وسيفا[1] وهذا تفسير القول الذى رووه عن على «أنا يد الله الباسطة على الأرض»[2] ولكن المؤيد فى شعره قال:

ويـــدان لله العـــظيم لبسطتـــى مبسـوطتـان
وهمـا النبـــى وصنـــوه يـدا نعمة نعم اليدان[3]

أى أنه قال إن النبى «يد الله» وعلى «يد الله» أيضا. وجاء فى سرائر النطقاء فى تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[4] والله تعالى ما له يد محدودة كأيدى خلقه وإنما يده نعمته الباسطة على عباده وهو وليه وإمام زمانه وقوله «بَلْ يداهُ مَبْسوطَتانِ» عنى به الإمام والحجة اللذان هما مبسطان بإقامة الدعوة والداعيان إلى عبادة الله وتوحيده[5] فهذا يثبت ما ذهبنا إليه من أن الفاطميين وصفوا أئمتهم بجميع الصفات التى كانت لمحمد ولوصيه على بن أبى طالب. وإذا وجدنا المؤيد قد مدح إمامه بأنه «جنب الله» مثلا بقوله:

هـو الوجـه وجـه الله والجنـب جنبه مـن الوحـى قـد قامت عليه الدلائل[6]

وقوله:

قـد حلـه وجـه الإلـه وجنبـه ولسـان صـدق محمد وجنانه[7]

فهو أخذ هذا القول مما روى عن على أنه قال[8] وأنا جنب الله الذى ذكره فقال: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[9] أى أن المؤيد قد وصف الإمام بصفة من الصفات التى قيل إن عليا وصف بها نفسه. فعلىّ روح الله القدسية التى أخضع لها كل المخلوقات وجعله السبب إلى توحيده والدليل إلى وجوده إذ نعته الله

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥٣.
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥٣.
(٣) القصيدة الحادية والثلاثون.
(٤) سورة المائدة الآية ٦٤.
(٥) سرائر النطقاء ج ٤١.
(٦) القصيدة ٥٧.
(٧) القصيدة ٣٣.
(٨) سرائر النطقاء ص ٥٧.
(٩) سورة الزمر الآية ٥٦.

بصفته فهو جنب الله وعينه وأذنه ووجهه ويده لتأنس الخلائق إلى معرفة توحيده بإقامة حدوده[1] ورووا أن عليا قال «قولوا فى فضلنا ما شئتم لأنا أبواب الله وحججه وأمناؤه على خلقه وخلفاؤه وأئمة دينه ووجه الله وجنبه»[2].

ومما لاشك فيه أن الفاطميين اشتركوا مع فرق الشيعة الأخرى ولاسيما الإمامية فى أن الله اختار الأئمة وأقامهم وجعل كل إمام منهم حجة على أهل عصره وقائما بينهم بأمره[3] فنجد الباب الأول من المجلد السابع من كتاب بحار الأنوار قد أفرد فى الحديث عن اضطرار العالم إلى حجة. وأن الأرض لا تخلو من هذه الحجة. وأورد المؤلف كثيرا من الأقوال المأثورة عن زين العابدين وعلى الرضا فى إثبات هذه العقيدة كقول على زين العابدين «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله»[4] وقول الرضا «نحن حجج الله فى أرضه وخلفاؤه فى عباده وأمناؤه على سره ونحن شهداء الله وأعلامه فى بريته لا تخلو الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف»[5] وبذلك أيضا قال الفاطميون فالإمامة عند فرق الشيعة الإمامية لا تنقطع عن العالم طرفة عين فى كل عصر وذلك لتدبير شئون الأمة وحفظ دين الله فالإمام حجة الله فى الأرض وبه تثبت الحجة على الخلق[6] وقد تحدث المؤيد بذلك كله فى ديوانه كقوله فى مدح الإمام:

يـا ولـى الإلـه ياحجة الله علـى خلقه غداة الخصام[7]

وقوله:

الإمـام المستنصر الطاهر مولى هـو لله حجـة فـى العبـاد[8]

---

(١) سرائر النطقاء ص ٥٦.

(٢) على حاشية زهر المعانى من جامع الحقائق ج ١ ص ٣٣٦.

(٣) المجالس والمسايرات ص ٨١.

(٤) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣.

(٥) بحار الانوار ج ٧ ص ٨

(٦) القنرات والقرانات ص ٥٨.

(٧) القصيدة ٤٧.

(٨) القصيدة ٣٦.

وقوله:

وإنـك برهـانـه فـي الأنـام وإنـك صمصامه في النصاب[1]

وكذلك اشترك الفاطميون مع غيرهم من فرق الشيعة في رواية الحديث «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[2] وفسر الفاطميون هذا الأثر بقولهم «رسل الله مدن حكمته وأوصياؤهم أبوابهما فمن سارع إليهم اقتبس بنور هذه الكلمة وهكذا الأئمة بعد الأوصياء مدن العلم وأبوابهما حججهم[3]. وأول المؤيد قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾[4] بأن البيت هنا بيت الله الحي الناطق وهو رسول الله في عصره باديا وكل إمام زمانه ثانيا[5] وقال المؤيد في موضع آخر إن الله عنى بالبيت غير المبنى من الطين والحجارة، وكنى عن سواه بهذه الكناية والإشارة، ولم لا يكون هذا البيت بيت الله الحي الناطق الذي به أغاث سبحانه الخلائق، وهو رسول الله في عصره باديا، وكل إمام في زمانه ثانيا، بيوت الله المعمورة بالحكم، ومعالم الله التي هي منجاة الأمم، ولم لا يكون البيت أمير المؤمنين الذي هو باب النجاة[6]. فكما وصف الشيعة الاثنا عشرية النبي بالبيت نجد الفاطميين قد أطلقوا هذه الصفة أيضا على أئمتهم فالإمام عندهم بيت الله الذي أودعه أسرار دينه كما يودع المودع أنفس ذخيرته في بيته[7]، كما وصفوا عليا بأنه «الباب» وقالوا إن النبي قال في عليّ «عليّ باب الدين من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا»[8] وبهذه الصفات مدح المؤيد الأئمة بقوله:

«وأحمد» بيـت النـور لاشـك، بابه «أبو حسن» والبيت من بابه يؤتى[9]

---

(١) القصيدة ٣٦.

(٢) الفترات والقرانات ص ١١١.

(٣) الفترات ص ١١١.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٨٩.

(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٧١.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٧.

(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٩١.

(٨) الفلك الدوار ص٩١.

(٩) القصيدة ٤٦.

وقوله:

هـو البيـت بيـت للإلـه مقدس وسيف لهام الكفر والشرك فاصل[1]

وقوله:

فغـفرا إلهـى فإنـى امـرؤ «دخلت المدينة من بابها»[2]

وأولوا قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[3] بأنه رسول الله[4] ثم خلعوا هذه الصفة على الأئمة فقالوا إن البلد رمز إلى كل من هو مؤيد بالقدس والأنوار وهم الأئمة المعصومون[5] ومدح المؤيد الإمام بهذه العقيدة فقال:

يـا بلـد الله الأمـين الذى قد زاغ عنه بصر الكافر[6]

وقوله:

هـو البلـد الأمين عليه دلت معانى الركن منه والحطيم[7]

ووصف الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بأنه «رحمة الله» فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[8] فاستغل الفاطميون هذه الصفة التى نعت الله بها رسوله ووصفوا بها بها الأئمة جريا على سنتهم فى إسباغ فضائل النبى على الأئمة، فنرى المؤيد فى مجالسه قال «فرحمة الله هى رسول الله فبطل أن يكون الله تعالى نزع عن الخلق رحمته من بعده إذ كان ذلك لا يليق بعدله، ولربما كان فى الزمان الذى بعد زمانه قوم هم أفضل وأدين من كثير ممن كان فى زمانه. وإذا كانت الصورة هذه كان القائم بعده فى الوصاية أيضا

---

(١) القصيدة ٥٧.

(٢) القصيدة ٢٧.

(٣) سورة التين الآية: ٣.

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤.

(٥) عيون المعارف ص ٤٨٠.

(٦) القصيدة ١٤

(٧) القصيدة ٥١

(٨) سورة الأنبياء الآية: ١٠٧.

«رحمة العالمين» كذلك القائم بعده للإمامة والقائم بعده واحدا بعد واحد لا يخلو زمان من إمام ذى رحم محمد يكون رحمة للعالمين»[1].

ونجد هذه العقيدة فى ديوان المؤيد إذ قال:

ورحمـــة ربنـــا فينـــا تجلـــت وذاك الفضـل من رب رحيم[2]

وقوله:

رحمـة الله فـى البرايـا ومـولى من حوته الأصلاب والأرحام[3]

والإمام عند الفاطميين هوالذى أشار إليه الله تعالى فى القرآن الكريم «بآيات الله» فالآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[4] فسرها المؤيد بقوله: «إن الآيات فى الباطن هم الأئمة المترجمون عنها والقادحون أنوار الملكوت منها. فهم لهم بمنزلة الأرواح من الأجساد. والآيات هى الأعلام. فكفى بهم (أى بالأئمة) أعلام للنجاة وأدلة على تحقيق الحياة»[5] ورووا عن على أنه قال: «أنا الآيات البينات» ولهذا نراهم قد وصفوا الأئمة بهذا الوصف وفى ديوان المؤيد:

وآيات دين الله تزهر كلها بنور تره ساطعا إن تأملتا[6]

كذلك نراهم قد أولوا ما جاء فى القرآن الكريم عن «الطور» بأنه الإمام فقالوا إن الطور جبل والجبال أوتاد الأرض. ومثلها فى الباطن الحجج الذين هم أوتاد الدين كالجبال للأرض. وأشرف هؤلاء الحجج حجة الناطق الذى هو أساسه. وهو الطور الذى أقسم الله به. ولولا كان الطور بهذه المثابة فى الشرف لامتنع أن يقسم الله تعالى بجبل جماد فقوله تعالى ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾[7] يعنى أقمنا الوصى ليكون لكم ظلا ومعقلا وحرزا[8]

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٢

(٢) القصيدة الحادية والخمسون.

(٣) القصيدة الثانية عشرة.

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٦.

(٥) المجالس المؤيدية جـ ١ ص ١٩.

(٦) القصيدة

(٧) سورة البقرة: ٦٣.

(٨) المجالس المؤيدية ج ١ ص: ٣١٠ (مجلس ٧١ من المائة الثانية)

ولذا قال المؤيد فى مدحه للإمام:

جبل الطور منه نسمع نجوى الله فينا وعنه تبدو الغيوب[1]

وذكر الله تعالى فى القرآن الكريم «الصراط المستقيم» فى مواضع عدة تكاد كلها تؤدى معنى الطريق الحق الذى يوصل إلى ثواب الله وإلى جنة النعيم وقد ذكرنا أن الولاية هى طريق الجنة ولذا أول الفاطميون «الصراط المستقيم» بأنه إمام الزمان فنجد فى كتاب الفترات والقرانات «الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين على[2]» وأشرنا من قبل إلى أن جميع صفات علىّ تنطبق على الأئمة من ذريته فيفهم من قول صاحب الفترات أن الصراط المستقيم هو الغمام أيضا وقد صرح بذلك صاحب عيون المعارف إذ قال: «واعلم أن الصراط على الحقيقة هو معرفة الإمام الكريم إذ هو الصراط المستقيم وهو الصراط المنصوب بين الجنة وبين الجحيم[3]» وقال المؤيد فى مجالسه «أن الصراط المستقيم فى المتعارف هو الجادة المسلوكة التى لا زيغ فيها ولا عوج لسالكها إلى مكان قصده وإننا نكرر فى الصلاة فاتحة الكتاب المتضمنة لقوله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم» وأن الطالب للشىء حقيق أن يعرف وجه طلبته وألاّ يسأل عما يعرفه ويعلم به. وقد اضطر أصحاب التفسير إلى أن يتأولوا ذلك أنه القرآن والشريعة وقد صدقوا فيما قالوا. لكن الذى جهلوا منه أكثر مما علموا. فأما كون الدين والشريعة «الصراط المستقيم» فصحيح إلا أنه بالآتى بالدين والشرع أليق وأخلق. فالنبى فى عصره هو الصراط المستقيم والوصى بعده كذلك. ثم ينتظم فى إمام بعد إمام كل منهم يسند إلى من تقدمه ويشير إلى من تأخر عنه[4]» وقال فى تأويل ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[5] فأحق من يتوجه الإشارة إليه فى هذا الباب هو أمير المؤمنين علىّ وهو صراط الله الذى يقوم بظاهر التنزيل[6]. ونراه فى موضع آخر قد قال: «إن مجموع النبى والوصى يكون الصراط المستقيم وإن الصراط المستقيم انتظام مرتبة الإمامة فى ذريتهما واحدا بعد واحد إلى يوم القيامة فيكون المنتظم فى سلوكهم على الصراط المستقيم»[7] ومدح المؤيد الإمام

(١) القصيدة الثالثة.

(٢) الفترات ص ٢٢.

(٣) عيون المعارف ص ٤٨١.

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٥١ مجلس ٨٧ من المائة الخامسة.

(٥) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٦) المجالس ٨٧ من المائة الخامسة. المجالس ج ١ ص ٣٥١.

(٧) المجالس ج ١ ص ١٤٧.

بأنه الصراط المستقيم.

صراط الإلـه المستقيـم لذى النهى ويثبت ذا جهل عن الحق ناكبا[1]

وقوله:

هـم أمـان مـن العمـى وصراط مستقيـم لنـا وظـل ظليـل[2]

وسنرى كيف تهكم المؤيد على أهل السنة والجماعة لقولهم بوجود طريق يصل بين الجنة والنار أحد من السيف وأدق من الشعر[3].

قال الفاطميون إن الإنسان مكون من كثيف ظاهر ومن لطيف باطن، وإن كثيف الإنسان الظاهر ينقسم إلى عناصر الحياة الأربعة وهى التراب والهواء والنار والماء وهذه العناصر هى التى تكون الجسم المقصود بقولهم الكثيف الظاهر، وفى الإنسان معنى لطيف يميزه عن غيره من المخلوقات الحيوانية، وهو ما يسميه الفلاسفة والفاطميون أيضا بالنفس الناطقة، وبه معنى يميز بين الخير والشر والحق والباطل وهو العقل. وأطلقوا على النفس الناطقة النفس الطلية وعلى العقل العقل الكلى، لأن العقول الجزئية والنفوس الجزئية التى فى الإنسان منسوبة إلى العقل الكلى والنفس الكلية فى عالم العقل[4] الذى عرفه الفاطميون بالباطن اللطيف، وبناء على ذلك قال الفاطميون إن الإنسان مولود عالم الأجسام من حيث جسمه الكثيف ومولود عالم النفس الكلية والعقل الكلى أى عالم اللطافة من حيث نفسه وعقله، وبهذا فسروا قول الفلاسفة «الإنسان عالم صغير[5]» ويتحل جسم الإنسان إلى عناصره الأربعة فيعود كل قسم إلى ما يناسبه فى عالم الكثافة بينما تنتقل النفس إلى ما يناسبها أيضا فى العالم الروحانى اللطيف[6] وهذا ما أراده المؤيد بقوله:

فجسمك من دار الطبيعة بدؤه ويمسى إليها بالتحلل سائبا
ونفسك من دار البسيطة بدؤها وتلك لعمر الدين أعلى مراتبا[7]

---

(١) القصيدة ٣٧.

(٢) القصيدة السادسة.

(٣) انظر القصيدة الثانية.

(٤) المجالس ج ١ ص ٧ «ب».

(٥) نلاحظ أن هشام بن الحكم كان يقول بذلك أيضا إذ جاء فى مقالات الإسلاميين (ج ١ ص ٦٠) وفى الفرق بين الفرق ص ٥١ أنه كان يرى أن الإنسان اسم لمعنيين لبدن وروح فالبدن موات والروح هى الفاعلة وهى نور من الأنوار

(٦) المجالس ج ١ ص٧و ج ١ ص ١٩٨.

(٧) القصيدة ٣٧

وقد ذكرنا ما اعتقده الفاطميون من أن الإمام من نور الله وأن جسمه أشرف الأجسام وأن جسمه عقل بالنسبة لأجسام البشر كما قال المؤيد فى مدح المستنصر:

ذو نسبـــة بالمصطفـــى والمـرتضـى يسمـو ويعلو
بكثيفـــه ولطيفـــه فأسـاسـه نفس وعقل[1]

فنفس الإنسان اللطيفة تناسب جسم الإمام لأنه لطيف أيضا ولهذا وصفوا الإمام بأنه قبلة النفس قال المؤيد :

يا قبلـــة الأرواح يـا مـــن نحـــوه توجهـت فـى الشرق والغرب القبـل[2]

وقوله:

يـا قبلـة الحـق الأعـز وكعـبة الحـى الأجلا[3]

وعللـوا وصفهـم للإمام بأنه قبلـة الأرواح بأنهم فى الصلاة مثـلا يتوجهون إلى الكعبة والكعبة من تراب فالإنسـان يتجه إلى الكعبة بجسـمه الترابى. ولكن نفس المصلى جوهر قابل لآثار النبوة والكتاب فاقتضى أن تكون قبلة نفسه ما تنحل إليه[4]، فالمصلى إذا استقبل الكعبة فكأنما استقبلها بجسمه الكثيف أما لطيفه فمتجه إلى الإمام[5]. وقالوا إن معنى الحج هو القصد لأشرف البقاع وأشراف البقاع فى الظاهر الكعبة وهى فى التأويل حجة الله على خلقه الذى هو أشرف الخلق وهو قبلة النفوس التى تتوجه النفوس إليها لخلاصها[6] ولكن توجه الإنسان بحياته ونطقه إلى بيت جماد (أى الكعبة)، لا يحس ولا يعقل، فاقتضى أن تكون قبلته الإمام[7] ولذا قال المؤيد:

أبيـت من الأحجـار أعظـم حرمـة أم المصطفى الهادى الذى نصب البيتا

---

(١) القصيدة ١٦.

(٢) القصيدة الرابعة.

(٣) القصيدة العاشرة.

(٤) المجالس المؤيدية المجلس الرابع ج ١ ص٤.

(٥) حدثنى أحد البهرة بأنهم إذا وقفوا للصلاة قالوا: إننا نقابل الكثيف بالكثيف واللطيف باللطيف. يريدون بذلك ما ذكرناه وأن الصلاة فى عقيدتهم لا تقبل إلا إذا كانت على هذه النية.

(٦) المجالس المؤيدية ج١ ص ١٩٨.

(٧) المجالس ج ١ ص٤.

التوحيد عند الفاطميين

قال المؤيد إن الدين له فرع وأصل، وأن أصل الدين معرفة توحيد الله[1] ولكن توحيد الله يكبر عن أن تحصره النفوس أو تدركه العقول[2] ولذلك حذروا التعمق فى البحث عن الله تعالى مبدع العالم عملا بأثر رووه عن النبى «إياكم والتعمق فإن من هلك قبلكم هلك بالتعمق[3]» واكتفى الفاطميون بقولهم إن توحيد الله بأن ينفى عنه جميع ما يليق بمبدعاته التى هى الأعيان الروحية ومخلوقاته التى هى الصور الجسمانية من الأسماء والصفات والحدود ويتصور أنه ما كاد ينقدح لأحد فكر فيه جل جلاله إلا وذلك الفكر مثل المفكر ومصنوع ومحدث وأن الله سبحانه صانعهما ومحدثهما ولا يناسب شيئا منهما[4]. وأن نفى المعرفة هو حقيقة المعرفة وسلب الصفة هو نهاية الصفة[5] أى أن توحيد الفاطميين هو تنزيه الله تعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنعوت، لأن هذه النعوت كلها موجبة للأنداد والأضداد فمثلا فى قولنا «الحى» فالحى منا لتعلقه بجوهر الحياة حى وهو سبحانه وتعالى أيضا حى. وإن كان حظه الأعلى الأشرف بأنه الحى الذى لا يموت وحظ الإنسان الأدون الأقل من جهة الحوادث فهذه مشاركته. ثم إن الحى ضد الميت وذاك مضاده[6]. وعلى هذا النحو ساق الفاطميون القول فى الصفات، وكما أن المعتزلة أولوا الآيات التى تدل على التجسيم تأويلا يتفق والتنزيه والتوحيد كذلك أول الفاطميون هذه الآيات لنفى التشبيه عن الله تعالى فقالوا إن الذى يدين بصفات الله مشرك الشرك الخفى الذى قال عنه رسول الله «الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على صخرة صماء فى ليلة ظلماء[7] وفسروا قول النبى «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» بأن معرفة الإنسان نفسه هو أن يعلم أنه متشكل من حيث جسمه بشكل عالم الجسم، ومتشكل من حيث حركته بشكل عالم الأفلاك والأجرام المتحركة، ومنتسب من حيث نفسه وعقله إلى عالم العقل والنفس، وأنه مستغرق بكثيفه فى عالم الكثافة كالقطرة فى البحر، ومستغرق بحركته فى عالم الأفلاك والأجرام

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٥.
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦.
(٣) المجالس المؤيدية ج ١ص ١٧٦.
(٤) المجالس المؤيدية.
(٥) المجالس المؤيدية.
(٦) المجالس المؤيدية ج١ ص ١٠٤.
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ص ١٠٤.

المتحركة، ثم إنه بالنسبة إلى عالم العقل والنفس بحيث ألا يقع عليه موازنة ولا قياس، فإذا ثبتت المعرفة على هذه الصيغة فسر قوله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[1].ورووا أن عليا سئل عن التوحيد فقال: «التوحيد أن لا تتوهمه[2]» وإنه قال أيضا «وصفه تشبيه ونعته تمويه والإشارة إليه تمثيل والسكوت عنه تعطيل والتوهم له تقدير والإخبار عنه تحديد[3]» وقوله «أول الديانة لله تعالى معرفته وكمال معرفته توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه وإقامة حدوده[4]» . أما دعوة الله سبحانه بالأسماء الحسنى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [5]على أن يكون التصور فى معانيها لا ينحى فيها إلى ناحية الشرك، بل يعتقد أنه جل اسمه منزه عن كل نعت يصلح لعباده[6]. أما أسماء الله الحسنى التى ذكرت فى القرآن الكريم فهى إشارة إلى حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفلية ففى تأويل الآية السالفة «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» أى هؤلاء الحدود فادعوه بها أى تطلبوا الوصول إلى توحيد الله تعالى من جهتهم وتدرعوا من مدارع النجاة برسالتهم[7]. ولهذا نجد المؤيد فى بعض مناجاته قد قال: «واشهد أن لا إله إلا الذى لا يوصل إلا بحدوده إلى معرفة توحيده... وأشهد أن لا إله لا الله الذى من ألحد فى حدوده سقط عن معالم توحيده[8]».

وذكر صاحب كنز الولد أن توحيد الله معرفة أسمائه فمن عرفهم ووحده من قبلهم نجا ومن جهلهم ولم يتصل بهم ضل وغوى[9] وصرح المؤيد بأن إخلاص التوحيد لا يثبت إلا بثبوت رتبة الوصاية والإمامة التى هى نفس الديانة عند الفاطميين، وبها الإبانة عن مقامات الحدود الروحانية والجسمانية وتنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود[10] وهذا هو الذى قصد إليه المؤيد فى شعره:

---

(١) سورة المدثر آية: ٣ - المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٥.

(٢) المجالس المؤيدية ج١ ص ١٠٥

(٣) من رسائل جلاء العقول لعلى بن محمد بن الوليد مخطوط رقم ٢٥٤٣٣ بلندن

(٤) كنز الولد ص ١٥٩.

(٥) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(٦) المجالس ج ١ ص ١٠٧.

(٧) المجالس ج ١ ص٢٢٣.

(٨) هامش المجالس ج١ص ١٦٤

(٩) كنز الولد هامش ج١ ص٣.

(١٠) المجالس المؤيدية ج١ ص ١٣

أيصح توحيد بغير ولائه ووﻻؤه لكتابه عنوانه[1]

وقوله :

عقدت ولائى للإمام الذى به يصح لتوحيدى بتحقيقه عقدى[2]

وقوله :

طوبى لمن أخلص بالتوحيد تبصرا من جهة الحدود[3]

أما الإيمان عند الفاطميين فهو كما قال القاضى أبوحنيفة النعمان «فى دعائم الإسلام»[4] «الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان وهو الذى لا يصح غيره». فبينما نجد المرجئة قد قالوا إن الإيمان قول بلا عمل. نجد أهل السنة قالوا إن الإيمان قول وعمل نجد الفاطميين قد ألزموا القول والعمل مع الاعتقاد والنية[5] فلا يكون الإنسان مسلما مؤمنا إلا إذا اعتقد بذلك كله. وقال الفاطميون إن الإسلام مثله مثل الظاهر والإيمان مثله مثل الباطن ولابد من إقامة الإسلام والإيمان جميعا والتصديق بهما معا والعمل بما يجب العمل به منهما فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلما[6] وقال النعمان إن الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله. وأن الجنة حق. والنار حق. والبعث حق. والساعة آتية لا ريب فيها. وأن الله يبعث من فى القبور والتصديق بأنبياء الله ورسله والأئمة. ومعرفة إمام الزمان والتصديق به والتسليم لأمره. والعمل بما افترض الله على عباده والعمل به. والانتهاء عما نهى عنه. وطاعة الإمام والقبول عنه[7] فكأنه اشترك مع باقى المسلمين فى هذا كله إلا فى ولاية الإمام. فجميع مذاهب السنة والمعتزلة تقر بهذا وتعترف به ولكن تختلف عن الفاطميين فى الولاية. وعن الإيمان قال المؤيد فى ديوانه.

فإننا لأهل علم وعمل لله دنّا بهما عز وجل[8]

---

(١) القصيدة ٣٣

(٢) القصيدة ١٨.

(٣) القصيدة ٢.

(٤) دعائم الإسلام ج١ ص ٥.

(٥) تأويل دعائم الإسلام ج ١ ص ١٢.

(٦) تأويل دعائم الإسلام ج ١ ص ١٢.

(٧) دعائم الإسلام ج١ص ٦.

(٨) القصيدة الأولى.

الإبداع

نجد فى القصيدة الثانية من ديوان المؤيد أن الشاعر بدأ نظمه بذكر الإبداع والاختراع. فقال إن الله تعالى أبدع «الكاف» واخترع «النون». وأن من «الكاف والنون» أقام الله العالم العلوى والعالم السفلى. وهذه رموز فاطمية لا يدرك أسرارها إلا من اطلع على علم الحقيقة – كما قال الفاطميون – ولكى نفسر عقيدتهم هذه نقول إن الفاطميين رووا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال فبعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أجل منك. بك أثيب وبك أعاقب»[1] فاتفق بذلك الفاطميون مع الفلاسفة على أن العقل أول الموجودات. ولكن اختلف الفاطميون عن الفلاسفة فى كيفية وجود العقل أهو عن طريق الفيض كما قالت الأفلاطونية الحديثة وتبعها إخوان الصفا بقولهم «العقل هو أول موجود فاض من جود البارى[2]» أم عن طريق الإبداع كما قال المؤيد فى ديوانه[3] وفى مجالسه «فالعقل وجد عن الله سبحانه وتعالى إبداعا»[4]. أما الكرمانى فقد ناقش الذين قالوا إن العقل وجد عن طريق الفيض فقال: إن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له فهو كعين مايفيض منه كما أن الضوء الذى هو فيض عن عين الشمس من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التى منها فاض الضوء. لأن ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها ولا فرق بينهما من هذه الجهة فيصير الذى منه يفيض الفيض متكثرا بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فيه. فتكون ذاته من شيئين. شىء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه. وشىء وقع به التباين بينهما. ولولا هذا التباين لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا وهذا غير ذاك. ويقتضى ذلك أن يكون الله سبحانه إن كان ما وجد عنه فيضا متكثرا واقعا تحت هذا الحكم تعالى الله أن يكون موصوفا بقلة أو كثرة. وإذن فقد بطل أن يكون الله تعالى من شيئين وبطل أن يكون ما وجد عنه فيضا وأن ما وجد عنه تعالى لم يبق إلا أن يكون إبداعا[5]

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ص ٢ ونلاحظ أن هذا الحديث أخرجه البخارى. مع إبدال العقل بالقلم وأنكر ابن تيمية حديث العقل.

(٢) رسائل إخوان الصفا الرسالة الأولى من القسم الثالث ج ٣ ص ٤ (طبعة بومباى).

(٣) القصيدة الثانية.

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ص ١١٣.

(٥) راحة العقل ٢٧٨ – ٢٧٩.

أما البحث عن (لمية) وجوده فقالوا هذا محال لأن الأشـياء المعلومة نفسانية وجسمانية إنما وقعت في تصور أنفسـنا كمادة من العقل ومعونة منه. فلسـبقه وأوليته أدرك ما بعده فصار هو محيطا. وجميع المعلومات النفسانية والجسمانية لصدورهاإلى الفعل عنه محاطا به. فإن طلبنا الإحاطة بكيفية وجوده إبداعا احتجنا إلى آلة سـابقة عليه في الوجود لنحصله بتلك الآلة في حيز تصور النفس. ولن نستطيع ذلك أبدا لعدم ما هو سابق عليه. ولو كان شيء قد سـبق عليه في الوجود لبطل كون هذا المسبوق مستحقا لاسم العقل والأولية بل كان بما سـبقه أليق وأولى منه به. فإذن الاسـتخبار عن لمية وجوده محال[1]. ومع هذا نجد الدعاة قـد حاولوا معرفة كيفية الإبداع. وعالجوا موضوعـا دقيقا وهو هل عالم الإبداع ظهر دفعة واحدة ثم انفرد واحد بالأولوية والأسبقية أم ظهر عالم الإبداع بترتيب خاص؟ أما المؤيد فقد قـال إن المبدع الأول أى العقل الأول هو علة المخترعات والموجودات والمخلوقات وهو أبدع من لا شيء وهو حامل لكل المخلوقات والمصنوعات[2] ونرى الكرماني قد قال «المبدع الأول هـو علة لوجود الموجودات الكائنة كالواحـد الذى هو أول الأعداد[3] لأن المبدع الأول غاية الكمال ونهاية التمام والغناء والفضل»[4] وقال إخوان الصفا: أن العقل أول موجود فاض من جود البارى والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسـم بعد الطبيعة[5]. وقالوا في مواضع آخر: واعلم يا أخى أن العقل إنما قبل فيض البارى تعالى وفضائلـه الـذى هو البقاء والتمام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من البارى عز وجل وشـدة روحانيته. فأما النفس فإنه لما كان وجودها من البارى جل ثناؤه بتوسـط العقـل صارت رتبتها دون العقل[6] فالكرماني والمؤيد وإخـوان الصفا قالوا بأن العقل وجد أولا. وهذا العقل الأول هو الذى أشـار إليه الله تعـالى «بالقلم» قال الكرماني «المبدع الأول هو الواحد الذى لا يتقدمه شـيء ذلك بأنه الملك المقرب الذى أخبرت عنه السـنة الإلهية

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٠.

(٣) نلاحظ هنا أثر الفيثاغوريين في هذا الاعتقاد كما نجد نفس هذا الرأى مبسوطا في مواضع عديدة في رسائل إخوان الصفا وعند المؤيد في مجالسه مما يدل على أن الفاطميين تأثروا إلى حد بعيد برأى الفيثاغوريين في الأمور العقلية.

(٤) راحة العقل ص ٢٩٣.

(٥) رسائل إخوان الصفا ج ٣ص ٤.

(٦) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص٦.

والشـــريعة النبوية بالقلم»[1] وقال المؤيد «والقلم أول نور ســـطع إبداعا من المبدع سبحانه»[2] وبذلك ندرك سبب تهكم المؤيد بمن قال إن القلم من مادة معدنية أو نباتية، وإذا رجعنا إلى رأى الفارابـــى فى القلم نراه قريبـــا من رأى الفاطميين إذ كان يرى القلم واللوح من الملائكة الروحانية فقد قال «لا تظن أن القلم آلة جمادية واللوح بســـط مســـطح والكتابة نقش مرقوم بـــل القلم ملك روحانى واللوح ملك روحانى»[3] إذن القلم أو العقل الكلى أو المبدع الأول هو أول المبدعات فى رأى بعض دعاة الفاطميين وهو الذى سمى فى الدعوة باسم «السابق» وهو أعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال إخوان الصفا «وإلى الخمســـة الفاضلة من الملائكة أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله «حدثنى جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم[4]».

على أن صاحب كنز الولد خالف من تقدم ذكرهم وقال إن عالم الإبداع ظهر دفعة واحدة ونقل عن الإمام القائم بأمر الله أنه قال «إن عالم الإبداع الذى صورنا كون ظهوره معا دفعة واحدة لم يســـبق أوله آخره ولا آخره أوله فكان وجوده معا على مثل حَبِّ التين المجتمع فـــى كل حبة منه مالا يحصى. فلما كانوا كذلـــك تحرك منهم واحد من ذاته بذاته حركة فكـــرة وتمييز وفطنـــة فهجمت به فكرته وقررت عنده فطنتـــه أن لذلك العالم مبدعا أبدعه وموجدا أوجده بمشـــيئته وقدرته، وأنه لا يدرك ولا يحاط به ولا يشـــبه شـــيئا من صنعته وأنـــه يعجـــز عن إدراكه ومعرفته إلا بوجود ما أوجده من عدم لا أصل له فنفى عن الجميع من عالمه الإلهية وأثبتها للمتعالى ســـبحانه، فنطق بالشـــهادة مفصحا وأعلن بها مصرحا. ولأسبقيته فى توحيد الله تعالى وأولويته كان السابق والعقل الأول»[5] ووافقه على هذا القول صاحـــب الأنـــوار اللطيفة إذ قـــال «إن الله تعالى أبدع عالم الإبداع المكنـــى عنه بعالم الأمر وعـــالم العقل وعـــالم القدس وعالم اللطافة والعالم الروحانى جميعا معا دفعة واحدة من غير شـــىء تقدمهم ولا مع شـــىء صحبهم واختراعهم عالم وجود من عدم غير موجود...وأوجد تلك الأشـــباح النورانية متســـاوية فى الكمال الأول الذى هو الوجود والحياة والقوة والقدرة ولا تخالف فيها ولا تفاضل ولا تباين بينهما ولا تماثل ثم إن واحدا من تلك الأشـــباح نظر

(١) راحة العقل ص ٢٨٢.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٩.

(٣) راجع رسالة نصوص الحكم من مجموعة ALfarabi s Philosophische طبع ليدن سنة ١٨٩٠.

(٤) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص٢٢.

(٥) كنز الولد على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٧.

بذاته إلى ذاته وإلى أبناء جنسه فعلم أن له ولهم مبدعا بخلافهم فنفى عنه وعن أبناء جنسه الإلهية وأثبتها لمبدعهم تعالى وشهد ل بالوحدانية واعترف وأقر بالعبودية وسبح له وخشع وتوسل بعظمته إليه فطرقه من مبدعه المواد الإلهية والتأييدات الروحانية واتصل به العلم الجارى والنور السارى الذى هو كلمة الله تعالى فشرفه الله تعالى بالأسبقية»[1]. ومهما يكن من أمر هذا الخلاف الذى نراه بين هؤلاء الدعاة فقد اتفق الجميع على صفات خاصة لهذا السابق أو القلم أو العقل الأول فهو الذى رمز إليه بالكاف من كلمة «كن» فى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]. فكن هى الكلمة التى قامت منها السموات والأرض وعلة خلق العالم[3] ثم أضافوا إليه جميع الصفات التى أطلقتها الفلاسفة على العقل الكلى من أنه تام وكامل وأزلى وعاقل وعالم [4] إلى آخر هذه الصفات المعروفة عند الفلاسفة، والحق أن مذهب الفاطميين فى الإبداع لا يكاد يختلف عما قاله الفلاسفة القدماء فقد كان أفلوطين مثلا يرى أن الواحد أو الله تعالى أبدع العقل الأول، ومن آراء فيلون أن الله تعالى أوجد اللوغوس وهى الكلمة أو المبدع الأول الذى منه خلق النفوس وأن النفس لا تبلغ إلى الله تعالى إلا بوسطاء هم المبدعات، وقد ذكرنا أن إخوان الصفا والفاطميين اتخذوا من الحدود العلوية وسطاء إلى الله تعالى بنفس الرأى الذى قال به فيلون. وقبل فيلون وصف فلاسفة الهود كلمة الله بأنها مدبرة الكون وأنها مصدر الوحى والشرائع.

كما أخذ الفاطميون عن الأفلاطونية الحديثة أيضا رأيهم فى انبعاث «النفس الكلية» فقال الفاطميون إن السابق لما كان تاما له حكم الحركة وحكم السكون فحركته ليست لطلب غاية بل حركته لشكر المنعم الذى أبدعه وهذه الحركة هى انبعاث النفس الكلية عن المبدع الأول»[5] وذكر الكرمانى أن الانبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذى هو العقل الأول[6] والعقل الثانى كالمبدع الأول فى كونه جامعا للكمالين، وذلك أن جميع ما يختص بالمبدع الذى هو العقل الأول من كونه حقا وموجودا أولا وواحدا تاما وكاملا أزليا وعاقلا وعالما وقادرا وحيا بالإضافات والذات فإن المنبعث عنه يستحقه بالمعانى الموجودة فيه،

---

(١) الأنوار اللطيفة على هامش المجالس ج ١ ص ٤.

(٢) سورة يس ٨٢.

(٣) مجالس ج ١ ص ١١١

(٤) راجع راحة العقل ص ٣٠١ وفى مواضع مختلفة أيضا.

(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣.

(٦) راحة العقل ص ٢٩٦.

فأما كونه حقا فلكونه نهاية المنبعث من طريق الإبداع، وكونه موجودا أولا فلكونه موجودا من المنبعث، وكونه واحدا فلكونه عقلا محضا واحدا من نوع الانبعاث الأول، وكونه تاما فلوجوده عن التمام، وكونه كاملا فلوجوده عن الكمال، وكونه أزليا فلكونه متعلقا بما يحفظ عليه وجوده، وكونه عاقلا فلعقله ذاته بذاته، وكونه عالما فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه، وكونه قادرا فلوجود الإحاطة منه بذاته وكونه حيا فلوجود الفعل منه، فهو تام كامل وجوده عن السابق عليه لا بقصد منه»[1] ولكن المؤيد ذكر أن النفس الكلية تامة فى قوتها ناقصة فى فعلها إذ لم يجز أن يكون الموجود عنه كمثله تاما فى جميع أحواله[2] فبينما نرى الكرمانى قد أضاف إلى النفس الكلية جميع الصفات التى للعقل الأول نجد المؤيد قد فرق بين العقلين؛ ثم نرى الكرمانى قد تخبط مرة أخرى فقد رأيناه قد ذكر أن العقل الأول هو المعروف فى الشريعة باسم القلم نجده مرة أخرى يقول «إن المنبعث الأول الذى هو العقل الثانى المسمى بالقلم موجود ثان وأنه فى الكمال كالأول»[3] فلا أستطيع أن أوفق بين الرأيين لرجل واحد فى كتاب واحد. وقد كرر هذا الرأى الأخير بقوله «لما كان المبدع الأول فى ذاته عقلا يتعلق وجوده بإبداع الله تعالى إياه ومعقولا يتعلق وجوده كذلك بذاته إحاطته بها كان على نسبتين وكان الموجود عنه اثنين أحدهما عن نسبة كونه عقلا وهو أفضل الموجودين عقلا قائما بالفعل مثل النسبة التى عنها وجد وهو الانبعاث الأول المعرب عنه فى السنة الإلهية بالقلم، وثانيهما عن نسبة كونه معقولا مؤثرا فيه عقلا قائما بالقوة حيا مؤثرا فيه مثل النسبة التى عنها وجد وهو الانبعاث الثانى المعرب عنه فى السنة الإلهية باللوح لكونه قابلا للصور قائما بالقبول كقبول اللوح من القلم»[4] فكأن الكرمانى قد صرح مرة أن المبدع الأول هو القلم. ثم عاد فصرح أن الانبعاث الأول هو القلم، وأن الانبعاث الثانى هو اللوح وهو الهيولى وهو أصل لعالم الجسم[5] ولكن المؤيد خالفه فى هذا فقال إن النفس الكلية هى اللوح، وأن النفس الكلية واسطة بين العقل وبين الصورة التى هى تركيب العالم[6] كما صرح مرارا فى مجالسه أن النفس هى المكنى عنها بلسان

---

(١) راحة العقل ص ٣٠١.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٣.

(٣) راحة العقل ص ٢٩٨.

(٤) راحة العقل ص ٣٠٣.

(٥) راحة العقل ص ٣٠٢.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٢.

الشـريعة باللوح المحفوظ وأن لهذا اللوح فعلين أحدهما تام بالقوة مثل تركيب السـموات والأرض. والآخر تام بالفعل كالإنسان المطلق[1] المتشبه بها فى جميع حالاتها[2] وبينما نجد المؤيد والكرمانى قد اتفقا على ان الانبعاث عن المبدع الأول على النحو الذى قاله فلاسـفة الأفلاطونية الحديثة بأن الله أبدع العقل الأول ثم انبعثت النفس الكلية منه، وقول إخوان الصفـا إن مـن العقل الفعال فاض جوهر آخر دونه فى الرتبة يسـمى النفس الكلية[3] نجد داعيـا من دعـاة اليمن هو على بن محمد بن الوليد الداعى الخامس من دعاة اليمن المتوفى سـنة ٦١٢هـ فى كتابه «الذخيرة»قال إن الله تعالى أبدع عـالم الأمر دفعة واحدة فى غاية التساوى فى كمالهم الأول وإبداعهم الأفضل لم يجعل سبحانه لأحد شرفا على سواه فكان من تلك الأشباح من فكر من ذاته بذاته فنظر إلى ذاته وإلى سائر من أوجد معه من عالمه فعلم أن له ولهم مبدعا لا يشـبههم ولا يسـاويهم فنفى عن نفسـه وعن سائر عالم الإلهية فكان بذلك سـابقا لجميع الموجودات[4] فشـرفه الله وميزه وعظمه ففطن لما قد اتصل به من ذلك العالم اثنان واستبقا إليه فشهد أحدهما للمبدع الأول ما شهد به المبدَع لمبدِعه فأمده سابقه مـن النور الإلهى بما فاض عليه فكان فى الشـرف والجلال والرفعة والكمال كالمبدع الأول إلا أن للإبداع شـرف السـبق»[5] وسبق ابن الوليد إلى هذا القول الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى الداعى الثانى من دعاة اليمن المتوفى سنة ٥٥٧هـ فى كتابه كنز الولد[6]. من ذلك نستطيع أن ندرك كثرة الاختلافات التى كانت بين الدعاة كما لا نستطيع أن نعلل وجود هـذه الاختلافـات فى حين أن الفاطميين صرحوا مرارا أن علمهم مأخوذ من الإمام المعصوم الـذى أودعه الله أسـرار دينه وأسـرار خلقه. مهما يكن من أمر هـذا الخلاف فى الإبداع والانبعاث فإن الفاطميين قد وجهوا إلى هذا الموضوع الدقيق همتهم لا لشىء إلا لإثبات فضل حدين من حدود الدين هما حد النبى وحد الوصى أو الإمام ، وأن هذين الحدين فى العالم السفلى يقابلان حدين شريفين هما أعلى الحدود فى العالم العلوى وهما حد القلم أو السابق

(١) قصد الإنسان المطلق الأنبياء والأوصياء أو الأئمة الذين هم عقول عالم الطبيعة بإزاء العقول فى عالم العقول فالأنبياء عقول بالقوة والفعل والأوصياء عقول تامة بالقوة دون الفعل مثلهم فى ذلك مثل النفس الكلية فى عالمها.

(٢) المجالس المؤيدية ج١ ص ١١٣.

(٣) ج ٣ ص ٧.

(٤) الذخيرة على هامش المجالس ج ١ ص ٤٦.

(٥) الذخيرة على هامش المجالس ج ١ ص ٤٨

(٦) كنز الولد على هامش المجالس ج ١ ص ٩٣.

أو العقـل الكلـى وحد اللوح أو التـالى أو النفس الكلية وأن النبـى والوصى فى عالم الدين يوجدان هذا الدين كما أوجد السـابق والتالى عالم الأمر كله إذ عنهما يصدر الوجود وهذان الحدان هما المشار إليهما «بالكاف والنون».

وأن الناطق ومن قام مقامه من وصى أو إمام يتصف بكل الصفات التى للعقل الكلى. وأن أسماء الله الحسنى هى أسماء العقل الكلى أو السابق فهى تنطبق إذن على الناطق أو الإمام، وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفسر قول ابن هانئ الأندلسى فى مدح المعز لدين الله.

مـا شئـت لا مـا شـاءت الأقـدار فاحكـم فأنت الواحـد القهـار

فقـد فهـم القدماء من هذا البيت وأمثاله من شـعر ابن هانئ وشـعر غيره من الشـعراء الفاطميـين أن الأئمة الفاطميين كانوا يدعون الألوهية، والواقع أن الأئمة لم يدعوا الألوهية ولم يتخذهم أتباعهم آلهة لهم. ولكن الفاطميين قالوا بأن الأئمة مثل للعقل الأول أى السابق أى القلم، فهم على هذا النحو أقرب الحدود إلى الله تعالى فى عالم الكون والفسـاد كما أن العقـل الأول أى القلـم أقرب الحدود العلوية إلى الله تعالى وأن الله تعالى منزه عن كل صفة متكبر عن كل اسم.

الفصل الثانى

التأويل

وجوب التأويل. إعجاز القرآن.
صاحب التأويل. الرأى والقياس.
نظرية المثل والمثول

جاء فى القاموس المحيط «أول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره» وجاء فى القرآن الكريم لفظ «التأويل» فى عدة مواضع بنفس المعنى الذى ذكره صاحب القاموس. مثل قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[1] وقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[2] و﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[3] وأخذ الفاطميون قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4] دليلا على وجوب تأويل القرآن الكريم إذ جعلوا قوله تعالى ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ نسقا على الله، وقوله ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ أخرجوه مخرج الحال بمعنى أنهم ليعلمونه ويقولون آمنا به إذ لو لم يكن الراسخون فى العلم يعلمونه لكان مستحيلا منهم أن يقولوا آمنا به، لأن الإيمان معناه التصديق والتصديق بالشىء لا يثبت إلا بعد إحاطة العلم به فلا يجوز تصديق المرء بما لم يعلمه[5] وقالوا ليس يخلو من أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم علم بتأويل ما أتى به أو لم يعلم، فإن كان علم به بطل الوقف بعد لفظ «الله» فى الآية السابقة ووجب دخول النبى فى شرط من علمه، وهو أول الراسخين فى العلم وأفضلهم.

(١) سورة يوسف: ٦.

(٢) سورة يوسف: ٢١.

(٣) سورة الكهف: ٧٨.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥١.

وعنه أخذ من أخذ من الراسخين فى العلم. وإن كان النبى لم يعلم فإرسال الله تعالى إياه بشىء إذا سئل عنه لا يعلمه خارج عن الحكمة والرسالة[1]. ولما كان ذلك كذلك فالنبى كان يعلم تأويل القرآن ومن قام مقام النبى فى كل عصر يعلم هذا التأويل أيضا. وللفاطميين أدلة عقلية على وجوب التأويل أخذوها من القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[3] وكقول النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله أسس دينه: أمثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانيته» فقالوا إن هذا كله يثبت أن يؤخذ مثالة الدين من خلقة السموات والأرض وتركيب الأفلاك وجميع ما يتأمل من خلقة الله تعالى. إذ ركزت فيها كل معانى الدين الذى حمله القرآن الكريم. فآيات القرآن فى حاجة إلى من يخرج كنوز هذه المعانى وتتأول إلى ما يتفق مع ذلك[4] وبذلك كان للقرآن الكريم معان سوى ما تتداوله ألسن العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم[5] وأن هذه المعانى التى قصد إليها القرآن هى الإعجاز بعينه. فالقرآن الكريم عند الفاطميين معجز ولكن معجزته ليست فى لفظه فقط بل فى معناه أيضا. فقد أرسل محمد بشيرا ونذيرا للناس كافة لا للعرب وحدهم. وأنزل القرآن بلسان عربى اختص به العرب وحدهم. فالقرآن من هذه الناحية معجز للعرب لفظا ومعنى. ولما كان من الصعب العسير على غير العرب من الأمم التى لا تتكلم العربية أن يفهموا هذه اللغة. ولا أن يتذوقوا الجمال الفنى فى اللفظ والأسلوب فى القرآن. فالقرآن ليس بمعجز باللفظ عند هؤلاء. وإنما يستطيع غير العرب أن يفهموا ما حمله القرآن من المعانى بعد تفسير الألفاظ «وهنا تتجلى معجزة القرآن ظاهرة واضحة ويكون تأويل القرآن هو الإعجاز حقا للناس كافة»[6] قال المؤيد «إن القرآن الكريم هو النور الحقيقى الأبدى المستضاء به حيث لا تضىء شمس ولا قمر ولا نجوم وإن جميع هذه الأنوار المحسوسة الواقعة تحت العين مجاز لتصرمها وانقضائها وزوال سلطانها. ونور القرآن تحقيق وتأييد وخلود. ويشع

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥١.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) سورة الذاريات: ٢٠، ٢١.

(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٢.

(٥) السيرة المؤيدية ص ٢٢.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢.

نوره على جميع العالم لا بلفظه بل بمعناه فهو معجز للعربى والأعجمى من المسلمين وغير المسلمين على هذه الصورة[1]» ورووا عن بعض أئمتهم قوله «إن ما كان ظاهره معجزا كان باطنه أعجز. وما أعجز الناس أن يأتوا بمثل ظاهرة فأنى لهم أن يأتوا بمثل باطنه[2]» قصد بذلك إلى قوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[3] ونجد فى شعر المؤيد:

إن كان إعجاز القران لفظا ... ولم ينل معناه منه حظا
صادفتم معقوده محلولا ... من أجل أن أنكرتم تأويلا[4]

ولم يقل الفاطميون وحدهم بإعجاز القرآن من جهة المعنى. بل نجد بين المعتزلة مثل النظام[5] وعيسى بن صبيح[6] من كان ينكر إعجاز القرآن بنظمه وحسن تأليف كلماته وإنما قالوا إن إعجازه بمعناه وبما فيه من الإخبار عن الغيوب، وإن كان النظام قد ادعى أن العباد قادرون على نسم مثل القرآن وعلى ما هو أحسن منه فى التأليف ولكن الله صرفهم ولو تركهم لجاءوا بمثله[7] وكذلك قال ابن صبيح[8] ولكن الفاطميين اعترفوا بأن القرآن معجز للعرب لفظا ومعنى، ومعجز للناس كافة بالمعنى الذى يأتى به التأويل دون الذى جاء به جمهور المفسرين. إذ أن الله تعالى اختص قوما بمعالم الدين وميزهم عن العالمين فنجد فى قصة موسى مع الرجل الصالح التى ذكرت فى القرآن الكريم وقوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾[9] إن الله تعالى قد اختص هذا الرجل الصالح بما لم يعلمه موسى بن عمران. فإذا كان موسى يرد عليه من علم الملكوت ما لا يقوم لاحتماله ويضعف

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٧٥.
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ص ٨٠.
(٣) سورة الإسراء ٨٨.
(٤) القصيدة الأولى.
(٥) الفرق بين الفرق ص ١٢٨.
(٦) الفرق بين الفرق ص ١٥١.
(٧) الفرق بين الفرق ص ١٢٨.
(٨) الفرق بين الفرق ص ١٥١
(٩) سورة الكهف ٦٦. ٦٧. ٦٨.

عنه قوة نهوضه فلأن يكون العامة عن احتمال ذلك أضعف وأقصر[1] وقد نظم المؤيد هذا الرأى فى قوله:

سر له صاحب موسى الخضرا قال معى لن تستطيع صبرا
وقال موسى سوف ألفى صابرا فلم يكن إذ ذاك إلا قاصرا[2]

فالله تعالى أودع أسرار دينه للنبى الكريم وهذا علمها لوصية. وتسلسلت هذه العلوم فى الأئمة من عقبة فهم الذين أشار الله تعالى إليهم بقوله «والراسخون فى العلم» وهم وحدهم الذين لهم تأويل القرآن بما عندهم من العلوم الباطنة. ورووا عن النبى أنه قال «أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل[3]»وهذه هى الشركة التى كانت بين محمد وعلى كما كانت هناك شركة بين موسى وهرون[4] والله تعالى جعل دعوة الرسل الظاهرة التى هى التقليد المحض الذى لا برهان عليه بإزاء الخلق ودعوتهم الباطنة الجارية على ألسن أوصيائهم وأئمة دينهم القائمة عليها دلائل الآفاق والأنفس بإزاء البعث[5]. فالأئمة إذن هم أصحاب التأويل ورووا عن النبى أنه قال إنى «تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[6] واتخذوا هذا الأثر للجمع بين القرآن وأصحاب تأويله وأردفوا ذلك بقول عن النبى «تعلموا من عالم أهل بيتى أو ممن تعلم من عالم أهل بيتى تنجوا من النار»[7] وقوله لعلى «سوف تقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله»[8] فهذا كله يدل على أن الوصى هو ومن تبعه من الأئمة من ذريتهم هم الذين اختصوا بتأويل القرآن الكريم. ولذلك روى الفاطميون عن على قوله «ما نزلت آية من القرآن إلا علمت كيف نزلت وأين نزلت وفى أى شىء نزلت سلونى. قبل أن تفقدونى. عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة» ثم قال «إن هاهنا لعلما جما» وأشار إلى صدره[9].ونظم

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٩.
(٢) القصيدة الأولى.
(٣) المجالس المؤيدية ص ٢٣.
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧.
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٩.
(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٦.
(٧) السيرة المؤيدية ص ٢٤.
(٨) أسرار النطقاء على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٢٣.
(٩) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤١ ج ٢ ص ١٣٢.

المؤيد ذلك بقوله:

وقـــول سلونـــى قبـــل فقدى ظاهـــرا لأظهـر مـا فـى الغيب من غامض السر[1]

فالإمامة هى قيادة العالم وحمل معرفة الحقيقة إليه ومثل هذا المرشـد ضرورى وجوده فى كل عصـر حتـى لا يبقى العالم جاهلا[2]. قال المؤيـد روى عن النبى أنه قال: «يحمل هذا العلـم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين» والأئمـة الذين أقامهم الله سـبحانه للتعديـل بين الظاهر والباطن والدعـاء إليهما والبعث عليهمـا واعتقادهمـا عملا وعلمـا. وكل منهما يؤكد صاحبه ويثبتـه ويؤيده وفق خلق الله الجسد والروح مقرونين، فمن اعتقد أن للباطن قواما دون الظاهر وللعلم قبولا من دون العمل كان كمـن أوجب للروح قواما من دون الجسـد[3] وأن النبى منزلتـه فى الدين منزلة الذكر لا يظهـر منه صورة المواليد وحلاهم لكون كلامه مجملا غير مفصل بمقابلة النطفة التى هى جامعة للصورة الإنسانية فى حد القوة وليس فيها تفصيل الصورة. وإنما يقوم وصيه القابل منه لتفصيل الصورة كما تظهر من الإناث صورة المواليد تامة فى أشكالها موفاة فى نقوشها وحلاهـا[4]» كما قالوا رواية عن على «علمنى رسـول الله ألف بـاب من الحكمة فانفتح لى مـن كل بـاب ألف باب» [5] وقول النبى «أنا مدينة العلـم وعلى بابها»[6] إلى غير ذلك من الروايـات التـى تثبت كلها أن عليا والأئمة من ذريته هم الذين اختصوابتأويل القرآن دون غيرهم من البشر ونجد هذا كله واضحا فى شعر المؤيد إذ قال:

وتـأويلـه مستـودع عنـد واحـــد وإن لـــم تسـأله فـزورا تـأولتـا
وأحمد بيـت النـور لا شـك بابـه أبـو حسـن والبيـت مـن بابه يؤتى[7]
للعـلم قـوم بـه خصـوا أقامهـم رب الـورى للـورى فـى أرضه علما[8]

---

(١) القصيدة الثالثة والخمسون.
(٢) كلامى بير ص ٢١.
(٣) المجالس ج ١ ص ٣٥.
(٤) المجالس ج ١ ص ٥١
(٥) المجالس ج١ ص ٤١.
(٦) كلامى بير ص ٢٠
(٧) القصيدة ٤٦.
(٨) القصيدة ٥٥.

وإنمـــا بـــاب المعـــانى مقفـــل وأكـــثر الأنـــام عنهـــا غفـــل
مفتـــاحه أضحـــى بأيـــدى خـــزنه بهـــم إلهـــى علمـــه قـــد خـــزنه
أولئـــك الأبـــرار آل المصطفـــى ومـن بهـم مـروة عـزت والصفـا
وأرشـــدونـــا سبـــل الصـــواب وعلمـــونـــا علـــم ذا الكـــتاب[1]

ولما كان كذلك فالفاطميون لم يأخذوا بالرأى والقياس فى التفسير والفقه بل كانوا كالنظام فى إنكار حجة الإجماع والقياس، وطعنوا كما طعن النظام فى فتاوى الصحابة وجميع أهل الرأى والحديث[2] وذهبوا إلى أن الفقهاء من أهل المذاهب الأولى حرفوا القرآن الكريم وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[3] ولكن تحريفهم هذا قرآن لم يكن من جهة اللفظ لأن ألفاظ القرآن الظاهرة محفوظة على ما كانت عليه وإنما دخل التحريف عليها من جهة معانيها التى هى الغرض والمغزى[4] ولذا قال المؤيد فى شعره:

وهـو الـذى قـد حـرف الكتابا عـن وجهـه وجـانب الصوابـا
يثبـت شيئـا ليـس فيـه فيـه وحكـم آى أحكمـت ينفيـه[5]

واعتقدوا أن الناس لو أخذوا بما فى القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[6] لما اضطر أحد إلى العمل بالرأى والقياس بعد عهد الرسول لأن الرسول غير باق ليحكم فيما بين الناس من خلاف ونزاع. وإنما القصد بهذه الآية الكريمة النص على إمام من ذرية الرسول بعد إمام يقومون من بعده بفصل الخطاب[7] وقد ذكر المؤيد فى سيرته أنه وجد المتوسمين بالعلم من أهل الرأى والقياس قد قالوا القول بالغداة ورجعوا عنه بالعشى وأنهم رجعوا فى آخر أعمارهم عن سائر ما قالوه فى أولها فالعقل يوجب أنهم

---

(١) القصيدة الأولى
(٢) الفرق بين الفرق ص ١١٤.
(٣) سورة النساء ٤٦.
(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٧.
(٥) القصيدة الأولى
(٦) سورة النساء: ٥٩.
(٧) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٠

لو عاشوا بزيادة على ما عاشوا لرجعوا عن كثير مما عليه ماتوا[1] وقد روى علماء مذهب الفاطميين قصة طريفة كانت بين جعفر الصادق وأبى حنيفة النعمان استندوا عليها فى إنكار العمل بالرأى والقياس. ذلك أن الصادق قال يوما لأبى حنيفة «يانعمان ما الذى تعتمد عليه فيما لم تجد فيه نصا من كتاب الله ولا خبرا من رسول الله؟» فقال أبو حنيفة: أقيسه برأيى. قال الصادق: إن أول من قاس إبليس حين رأى أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين فخلده الله تعالى فى العذاب المهين[2] يا نعمان أيهما أفضل الصلاة أو الصوم؟ فقال: الصلاة. فقال الصادق: إن الله تعالى أمر الحائض أن تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ولو كان القياس مطردا لكان القضاء فى الصلاة ثم سأله أيهما أطهر المنى أم البول؟ وأيهما أعظم عند الله الزنا أم قتل النفس؟ وأيهما أضعف المرأة أم الرجل؟ فكان النعمان يجيبه بأجوبة يظهر له الصادق ضعفها. وختم الصادق مناقشته مع أبى حنيفة بقوله: فاتق الله يا نعمان ولا تقس فإننا نقف غدا بين يدى الله تعالى فيسألنا عن قولنا ويسألكم عن قولكم فنقول نحن قلنا ما قال الله ورسوله. وتقول أنت وأصحابك رأينا وقسنا[3]. وعلى هذا النحو أنكر الفاطميون الرأى والقياس واعتقدوا أن الدين وما يتفرع منه من علوم وأسرار وقف على الأئمة من أهل البيت اختصوا بها دون غيرهم من البشر. وليس لأحد غير الأئمة أن يدعى علما. وهذا الاعتقاد نفسه هو الذى دان به الشيعة فجميع فرق الشيعة تنفى اجتهاد الرأى فى الأحكام وتنكر القياس[4] إلا إذا استثنينا فرقة من الزيدية رأت الأخذ بالرأى[5] وكذلك نجد بين مدرسة الحديث من أنكر الأخذ بالرأى. وقد يكون من الأسباب التى جعلت الشيعة ينكرون الرأى أن عمر بن الخطاب كان من أظهر الصحابة فى استعمال الرأى والشيعة يكرهون عمر بن الخطاب ويبرأون منه. فربما كان كرههم لعمر سببا فى إنكار الرأى الذى كان يأخذ به[6] هذا إلى جانب اعتقادهم أن الدين لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله والأئمة.

(١) السيرة المؤيدية ص ٣٥.

(٢) هكذا اعتقد الفاطميون والطريف أننا نجد أهل السنة قد قاموا بمثل ذلك كما حدثنا به ابن الملطى فى كتابه «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» ص ١٩.

(٣) هذه القصة فى السيرة المؤيدية ص ٣٥ - ٣٦ وفى المجالس المؤيدية فى مواضع متفرقة وفى عيون المعارف ص١٧.

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٥٣، ٥٤.

(٥) مقالات الإسلاميين للأشعرى ج ١ ص ٥٣، ٥٤.

(٦) يؤيد هذا الرأى أيضا أن الشيعة ينكرون صلاة التراويح لأنه قيل أن عمر هو الذى قال عنها إنها بدعة حسنة وكذلك فى الآذان فقد اعتقدوا أن عمر هو الذى غير الأذان بأن جعله «الصلاة خير من النوم» فأبطلها الشيعة وجعلوها «حى على خير عمل» فكان كرههم لعمر هو السبب فى ذلك كله.

وهذا العلم الذى خص به الأئمة هو «العلم الباطن» الذى نسب إليه الفاطميون فسموا بالباطنية لأن اعتقادهم بهذا العلم هو قوام عقيدتهم. وقبل أن أتحدث عن الباطن عند الفاطميين يجدر بى أن أشير إلى ما رواه أهل السنة والحديث عن «الظاهر والباطن» فقد روى أبو الأحوص عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم! – أنه قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل حرف آية منها ظهر وبطن» وفسر أحمد بن سنان هذا الحديث بقوله: «المعنى فى قوله ظهر وبطن يريدا ظاهرا وباطنا فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم[1] والصوفيون يجمعون على أن للقرآن ظاهرا وباطنا شأنهم فى ذلك شأن بعض أهل السنة. وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن القرآن نزل على سبعة أحرف لكل أية منه ظهر وبطن قيل فى معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله. وإن كان للصوفيةبعض تأويلات للقرآن تختلف عن تأويلات أهل السنة. فبعض أهل السنة قالوا إن للقرآن باطنا يحتاج إلى تأويل. قال الفاطميون إن لكل ظاهر باطنا وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن وكفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن فمن عمل بالباطن والظاهر فهو منا ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس هو منا[2]. وما فاز عند الله إلا من عمل بالحالتين جميعا ظاهرا وباطنا[3] وجاء فى إخوان الصفا «واعلم يا أخى أن لكل شىء من الموجودات فى العالم ظاهرا وباطنا فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ[4]». وقد سئل جعفر الصادق عن الحاجة إلى اتخاذ الباطن فى الحجب والعدول بها عن طريق الإيضاح والإظهار فأجاب: هى الحاجة إلى اتخاذ الحب فى أغطية السنابل والثمار فى الأغشية ليؤم لاستخلاصها ذوو البصائر والأبصار فبين الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين»[5] وقد نظم المؤيد قول جعفر هذا بقوله:

ورب معنى ضمه كلام كمثل نور ضمه ظلام
باق بقاء الحب فى السنابل فى معقل من أحرز المعاقل[6]

(١) نقلت ذلك عن مناظرة جرت بين أحد العلماء السنة بفارس وبين المؤيد الشيرازى وقد أثبت المؤيد فى سيرته نص ما جاء بهذه المناظرة (انظر السيرة ص ٤٤ وما بعدها).

(٢) الفترات والقرانات ص ٦٧ (ب).

(٣) الفترات ص ٦٧.

(٤) الفترات ج١ ص ٢٢٥.

(٥) المجالس المؤيدية ج١ (مجلس ١٦).

(٦) القصيدة الأولى.

وقال مشيرا إلى الإمام:

يستخلص الأرواح من ظلامها ويخرج الثمار من أكمامها[1]

وجاء في إخوان الصفا أيضا أن البارى سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهرا جليا لا يخفى وبعضها باطنا خفيا لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجليةجواهر الأجسام وأعراضها. ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالتها ومن الموجودات الظاهرة الجلية للحواس أيضا أمور الدنيا ومن الموجودات الباطنة الخفية عن أكثر العقول أمور الأخرة ثم جعل ما كان منها ظاهرا جليا دليلا على الباطن الخفى[2] فمن هذا كله ندرك أن الفاطميين كانوا يعتقدون أن لكل شيء ظاهرا وباطنا وأن أمور الدين كلها من الباطن الذى لا يدركه أحد إلا من خصوا بعلم الباطن فمن الطبيعى أن يكون التأويل دعامة علم الباطن. وأن يكون التأويل هو معرفة الظاهر وتأويل الباطن بما هو في الظاهر.

نظرية المثل والممثول

واستخلاص الباطن من الظاهر هى النظرية التى أستطيع أن أطلق عليها نظرية المثل والممثول أى تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويماثلها من الأمور الجثمانية المحسوسة وقد أخذت هذا الاسم من أقوال الفاطميين ففى السرائر «إن الله جعل لهم مثلا دالا على ممثوله فعرفوا الممثول بمثله إذ يقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3] فاعلم أنه أخفى الممثول وستره وجعل مثله طريقا إلى معرفته اختبارا لعباده وامتحانا لهم[4] وقال المؤيد في مجالسه: «إن الله تعالى أجرى نظام الحكمة على أن يكون جميع ما خلق من خلقه محسوسا ومعقولا ومثلا وممثولا»[5] وقال أيضا[6]: إن أهل بيت رسول الله هم الذين يستنطقون ألسن عالم الطبيعة بأسرار

(١) القصيدة الثانية.
(٢) إخوان الصفا ج ١ ص ٧٨.
(٣) سورة الزمر: ٢٧.
(٤) سرائر النطقاء ج ٢ ص ١٦.
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٤.
(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٧.

الشريعة ويخرجون أمثلة هذه من هذا وأمثلة هذا من هذه فيدلون به على كون صدور الدين من حيث صدر عنه خلق السموات والأرض مثلا بمثل كما قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] وورد هذا الاسم في شعر المؤيد:

والـذى قـال فـى الكتاب تعالى مثـل ذاك تحتـه ممثـول[2]
اقصـد حمـى ممثـوله دون المثـل ذا إبـر النحـل وهـذا كالعسل[3]

فنظريه «المثل والممثول» هذه هى قوام عقيدة الفاطميين فى التأويل وفى جميع مناسك الدين بل كانت مجالس الحكمة نفسها مبنية على المقابلة بين الشرع والعقل وإخراج الأمثلة من الدين على الخلق ومن الخلق على الدين[4] أى أنهم كانوا فى هذه المجالس يطبقون نظرية المثل والممثول. وقد ذكرنا فى صفات الإمام بعض ما اعتقده الفاطميون بعد أن طبقوا هذه النظرية فاستعملوها لكى يقربوا إلى العقول ما لا يستطيع الإنسان أن يدركه بحواسه. وليست فكرة المثل والممثول من وضع الفاطميين بل هى نظرية قديمة ذكرها أفلاطون مرارا فى كتبه. ونقدها أرسطو ولم يأخذ بها. فأفلاطون فى كثير من أقاويله كان يومئ إلى أن للموجودات صورا مجردة فى عالم الإله وكان يسميها أحيانا المثل الإلهية. وإن هذه المثل لا تدثر ولا تفسد ولكنها باقية وأن الذى يفسد ويدثر إنما هى هذه الموجودات التى هى كائنة[5] وإن لكل نوع من الأنواع الجسمانية فردا فى عالم العقل[6] وعند أفلاطون كما هو واضح أن المثال نموذج الجسم. والمثال هو الشىء بالذات والجسم شبح له فرأى أفلاطون فى نظرية المثل هذه يكاد يكون نفس عقيدة الفاطميين فى نظريتهم «المثل والممثول» ولا شك أن الفاطميين أخذوا هذه النظرية من فلسفة أفلاطون بعد أن نقلت كتبه إلى العرب وعرفها فلاسفة المسلمين ولا سيما الفارابى الذى تحدث عن هذه النظرية كثيرا وبخاصة فى كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين. ولكنى لا أستطيع أن أدعى أن الفاطميين أخذوا نظرية أفلاطون عن طريق الفارابى لأن المذهب الفاطمى كان أقدم من الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩هـ

(١) سورة الذاريات: ٢٠، ٢١.
(٢) القصيدة السادسة.
(٣) القصيدة الثانية.
(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٣.
(٥) رسالة كتاب الجمع بين رأيى الحكيمين للفارابى من ٣١ (طبع القاهرة مطبعة الاتحاد المصرى).
(٦) الأسفار الأربعة للشيرازى ج ١ ص ٧٥.

وأرجح أن نظرية المثل عرفها العرب قبل الفارابى وقبل الفاطميين فأخذها الفاطميون وأسسوا عليها نظريتهم التى سميتها «المثل والمثول»وبهذه النظرية استطاعوا أن يؤولوا القرآن الكريم تأويلا اختلف عن تأويل أهل السنة والمعتزلة كما سترى فى الفصول التالية.

الفصل الثالث

رد المؤيد على الفرق المختلفة

رؤية الرحمن

جاء في ديوان المؤيد إشارات كثيرة إلى الآيات الكريمةالتي اختلف المفسرون من أصحاب الفرق الإسلامية في تأويلها اختلافا كبيرا. بل اختلف المفسرون في كل فرقة حول معانيها. ووجد المؤيد في ذلك فرصة لمهاجمة هذه الفرق في شعره. فحدثنا عن كثير من هذه الاختلافات ولكنه لم يظهر لنا رأيه في تأويل هذه الآيات إلا تلميحا ولكن بفضل «المجالس المؤيدية» وغيرها من كتب الفاطميين أستطيع أن أثبت هنا ما أراد المؤيد أن يشير إليه. ونلاحظ أن المؤيد لم يتحدث عن هذه الاختلافات إلا بغرض واحد كان يرمي إليه وهو أن المسلمين من كل فرقة اختلفت آراؤهم وتشعبت مذاهبهم لأنهم فسروا القرآن الكريم برأيهم وقياسهم، فكان يثبت هذه الاختلافات ويتبعها بشيء من التهكم قائلا إن المسلمين لو أخذوا تأويل القرآن عن الوصي والأئمة من بعده لما وجد هذا الخلاف. فكأن المؤيد كان يدافع عن عقيدته في وجوب أخذ العلم عن هؤلاء الأئمة المنصوص عليهم، ولما كان غير الفاطميين من فرق المسلمين لم يتبعوا الأئمة ولم يتلقوا عنهم العلم فنرى المؤيد قد تبرأ من جميع هذه الفرق التي خالفت مذهبه، وخص منها أهل السنة وسماهم دائما بالنواصب أي الذين نصبوا من قلبهم إماما ليس له الحق في الإمامة وليس لهم الحق في اختياره، وتبرأ أيضا من المعتزلة الذين تهكم بهم مرارا في مجالسه وسماهم «فرسان الكلام» على سبيل السخرية منهم. كما تبرأ من الرافضة وهم غلاة الشيعة عنده.

وأول ما نراه في ديوان المؤيد من مسائل الخلاف بين الفرق هي «مسألة الرؤية» وكتب الفرق على اختلافها تتحدث عن هذه المسألة وتعرض أقوال المثبتين لرؤية الله تعالى وقد أفرد لها عبد القاهر البغدادي كتابا خاصا[1]لكثرة الحديث الذي دار عنها بين الفرق المختلفة. يكاد يجمع أهل السنة على أن الله تعالى يُرى للمؤمنين في الآخرة وقالوا بجواز رؤيته في

---

(١) الفرق بين الفراق ص ٣٢٤.

كل حال[1]. وذهب بعض المشبهة إلى أنه يجوز رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا[2]. وقالت البكرية بأن الله يرى يوم القيامة ويكلم الناس[3]. وكذلك قال أتباع ضرار بن عمرو[4]. واختلفت المرجئة فى الرؤية فمنهم من قال بمقالة أهل السنة ومنهم من ذهب مذهب المعتزلةفى نفى الرؤية[5]وأجمعت المعتزلة على أن الله لا يرى بالأبصار[6] ولكن المعتزلة اختلفوا فيما إذا كان الله تعالى يرى بالقلوب. فأبو الهذيل العلاف وأكثر المعتزلة قالوا نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا، بينما أنكر هشام الفوطى وعباد بن سليمان ذلك[7]. وقالت المعطلة إن من ادعى أن الله يرى فهو كافر[8]. هذه الاختلافات التى كانت بين علماء المسلمين ومتكلميهم أدت إلى أن يقول المؤيد متهكما:

من مثبت لرؤية الرحمن ... مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفى تلكا ... ودونها الكفر يرى والشركا[9]

وقوله:

فقائل قال تراه العين ... وهو لعمرى وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار ... مختصة بالجسم ذى الأقطار
وقائل قد قال لما دققا ... جدا وفى أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذى تضليل ... نراه لكن رؤية العقول
أمعن حتى ما أتى بشى ... ولم يبين رشدا من غى[10]

أما فى مجالسه فقد أثبت لنا مذهب الفاطميين فى مسألة الرؤية فقال إن الرؤية تنقسم إلى قسمين أحدهما محسوس والآخر معقول وهو رؤية العقل. فالبصر لا يتعدى المبصرات الجسمية التى من جنسه، والعقل لا يدرك إلا المدركات العقلية التى هو متجوهر بجوهرها.

---

(١) تلبيس إبليس ج ٥٣ وابن الملطى ص ٤٨ والفرق ص ٣٢٤ وابن حزم ج٣ ص٢ وما بعدها.
(٢) تلبيس إبليس ص ١٨٤.
(٣) الفرق ص ٢٠٠ ومختصر الفرق ص ١٢٩.
(٤) الشهرستانى ج١ ص ١٠٩. الفرق ص ٢٠٢ مختصر الفرق ص ١٠٣.
(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ص ١٥٣.
(٦) مقالات الإسلاميين ج ١ص ٢١٦.
(٧) مقالات الإسلاميين ج ١ص ١٥٧.
(٨) تلبيس إبليس ص ٢٢.
(٩) القصيدة الأولى
(١٠) القصيدة الثانية

وأن مبدع القسمين متعال عن أن يكون مدركا كالواحد منهما[1]. وتسائل المؤيد مرة أخرى هل الرؤية رؤية عقل لأن لكل منهما مقاما. فرؤية العين تختص بالألوان المختلفة التى هى أعراض لا يصح وجودها إلا فى جسم حامل لتلك الأعراض. والله تعالى منزه عن أن يكون ذا لون يقع تحت رؤية الأبصار. أما القسم الآخر الذى هو رؤية العقل فإنها أثر يسير يحل محل القطرة من البحر الغزير وخارج عن الاستطاعة أن الأثر الذى هو دليل على المؤثرات يدل على كيفياته وأحواله فضلا عن المبدع تعالى الذى أبدع العقل الكلى[2] وقد نظم المؤيد هذا الرأى فى ديوانه فقال:

فالعقل للمرء أداة كالبصر ذا باطن فيه وهذا قد ظهر
كلامها يدرك المجانسه مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله يا قوم كى تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور مجسما كيما يلاقيه البصر[3]

فالفاطميون إذن رفضو أقوال المثبتين لرؤية الله تعالى بالأبصار، ورفضوا أقوال المثبتين لرؤيته بالعقول وسموا من قال بهذا القول أو ذاك بالمشبه:

فالفرقتان اجتمعا مشبهه خبّاطة عشواء جهل وعمه

وقالوا كما ذهب أكثر المعتزلة بأن الله تعالى لا يرى بالأبصار، وأنه لا يرى بالعقول وطبيعى أن يخالف الفاطميون المعتزلة فى تأويل الآيات التى استند عليها المثبتون للرؤية ففى قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[4] قال المؤيد إن المعتزلة وهم بزعمهم فرسان الكلام فزعوا إلى أن تأولوا هذه الآية فقالوا إنما عنى به «ثواب ربها» فزادوا فيه ثوابا من عندهم لا وجودله فى نص التلاوة وقصدوا بزعمهم نفى التشبيه[5]. وقال فى مكان آخر «إن المعتزلة قالوا فى هذه الآية المعنى إلى ثواب ربها ناظرة. وقالوا أيضا إلى ربها يعنى بها نعمة ربها فهذا نص كلامهم. قد أحاطوا فى هذا الباب لربهم وسدوا خلل ظاهر

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٨.
(٢) المجالس ج ٢ ص ٢٧ –٢٨.
(٣) القصيدة الثانية.
(٤) سورة القيامة: ٢٢ –٢٣.
(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٧.

قولهم بزعمهم. غير أن فيه خبطة أهملوا مراعاتها هى حالة لما عقدوا وناقضة لما أبرموا. وهى أنه ليس من كون هذه الأقسام التى أبطلوا من أجله الرؤية معلومة لله كمثل ما علموها أو غير معلومة له فاستدركوها. فإن كانت معلومة فقد كان الله تعالى أولى منهم بأن يتقن قوله ويحميه مما يدخل النقيصة عليه. وإن كانت غير معلومة فقد نالوا من فضل العلم ما لم يعلمه الله. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فإن احتجوا أنه تعالى سلك فيه مسلك الاختصار وتركه مهزا للأفكار ومكانا للنظر والاعتبار. فلقد أضاع خلقه بهذا الاقتصار وأوردهم به جهنم دار البوار. فما الذى كان يضره أن يقول إلى ثواب ربها ناظرة فيعصم عباده بهذه الكلمة من الشقوة والخسارة. فإن صبيا محجورا عليه لا يكاد يحجر عليه بأكثر مما حجرت المعتزلة على خالقها وبارئها إذ قال ناظرة قالوا: لابد إلى ثواب ربها قال ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[1] فقالوا لا بل جاء أمر[2] ربك وفى ديوان المؤيد:

وهو الذى قد حرف الكتابا ... عن وجهه وجانب الصوابا
يثبت شيئا ليس فيه فيه ... وحكم آى أحكمت ينفيه
كمثل من قال وجوه ناضره ... قال إلى ثواب ربى ناظره
ومثل من قال وجاء ربكا ... قال هو الأمر خلاف ما حكا[3]

ورد (إخوان الصفا) على المعتزلة فى مسألة الرؤية بأن هذه الطائفة المجادلة زعموا بأن معنى لقاء الله والرجعة إليه فى قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾[4] هو لقاء ثوابه. وإنما أنكروا رؤية الله لأنهم يظنون ويزعمون ألا يرى إلا الأجسام وأعراضها فحسب والله تعالى ليس بجسم بالإجماع فمن هذا الوجه والقياس أنكروا لقاء الله ورؤيته[5]. وقال المؤيد: وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ موجب لتأويل لا يوجد إلا عند أهله ولا يؤخذ إلا عن مقره. ونحن نرى نص القرآن الكريم غير موجب للجاحدين والمكذبين رؤية النبى (صلى الله عليه وسلم) فضلا عن رؤية رب العالمين سبحانه وتعالى إذ

---

(١) سورة الفجر: ٢٢.
(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٢.
(٣) القصيدة الأولى.
(٤) سورة العنكبوت: ٥.
(٥) إخوان الصفا ج ٤ ص ١٥٩.

قال وقوله الحق المبين ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] وقد قال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن رآني وطوبى لمن رأى من رآني وطوبى لمن رأى من رأى من رآني» وإذ كانت الصورة هذه فطوبى للكافرين الذين ناصبوه. فحاربوه إذن فلقد رآه كلهم وبصره جميعهم، هذا ممتنع فنقول في معنى الرؤية التي طلبها من طلبها على تباين منازلهم أنهم طلبوا رفع الوسائط فصعقوا وزلزلوا ولو كان مسوغا لأحد أن يرتفع دون الوسائط لكان أولى الناس به النبي (صلى الله عليه وسلم) ولما قال بيني وبين الله خمس وسائط جبرائيل وميكائيل وإسرافيل واللوح والقلم وكان الله قادرا أن يرفع الوسائط بينه وبين خلقه فضلا عن رسله. وإذا جاز أن يكون بينه وبين الله الوسائط فما يمنع أن يكون بينه وبين الأمة من وصي وإمام وحجة فيكون الآخذ عنه والقابل منه هو الذي يكون في آفاق شرفه. وهو الذي يراه حق رؤيته مثل الوصي فيخرج زبدة قوله عليه الصلاة والسلام «طوبى لمن رآني» مشارا بها إلى الوصي ويكون قوله طوبى لمن رأى من رآني إشارة إلى الإمام. ويكون قوله طوبى لمن رأى من رأى من رآني إشارة إلى أتباع الأئمة في كل عصر وزمان. وفي وضوح ذلك وضوح معنى قوله ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[2] وذلك أنه رام اليهود أن يرفع الوسائط بينهم وبين معبودهم حتى يستملوا عن مقر الوحي والنبوة فصعقوا. ورام المسلمون أن يرتفع كذلك الوسائط من الوصي والأئمة ليقفوا على سرائر الوحي وخفيات الكتاب بفطنهم وآرائهم فصعقوا وزلزلوا[3] من هذا كله نستطيع أن نقول إن الفاطميين قد أولوا الآيات التي وردت عن رؤية الرحمن إلى شيء واحد وهو الاتصال بالوصي والأئمة ومن يمثل الوصي والأئمة وهم الحجج.

وجه الله ويداه

وقد ذكرنا فيما سبق كيف أول الفاطميون ما جاء به القرآن الكريم من ذكر وجه الله ويد الله مما جعل المشبهة يعتقدون أن لله وجها ويدا. ومما اضطر المعتزلة إلى أن يخوضوا في الكلام عن ذلك. فنجد مرة أخرى المؤيد قد ناقش المشبهة في هذه العقيدة إذ هي من الاختلافات التي كثر الحديث عنها بين فرق الإسلام. فبينما قال أهل السنة بالإجماع

(١) سورة الأعراف ١٩٨.

(٢) سورة البقرة ٥٥

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٩.

إن لله وجهـا ويدا مستشـهدين فـى ذلك بآيات من القـرآن الكريم[1]. نجـد المعتزلة قد أجمعت على أن الله ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة[2]. ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه[3]. ولكـن أبا الهذيل قال إن لله وجها هو هو [4]. وقال النظام وأكثر معتزلة البصرة إن لله وجها توسعا لأنهم أثبتوا لله وجها هو هو. وذلك أن العرب تقيم الوجه مقام الشيء فيقول القائل لولا وجهك لم أفعل أى لولا أنت لم أفعل[5]؛ وقال الزمخشـرى فى تفسـير قولـه تعـالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[6] وجـه الله ذاته والوجه يعبر به عن الجملـة والـذات[7]. ولكن معتزلة بغداد وأصحاب عباد بن سـليمان أنكروا ذكر الوجه[8]. وكذلك أجمعت المعتزلة بأسرها على إنكار اليد، وافترقوا فى ذلك فمنهم من أنكر أن يقال لله يدان.[9] ومنهم من زعم أن لله يدا وأن له يدين. وأولوا اليد بمعنى النعمة[10] ونجدمفسرا كالزمخشـرى وهو من مفسرى المعتزلة قال فى تفسير قوله تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[11] إنه تعبير مجازى يدل على إثبات غاية السخاء لله تعالى ونفى البخل عنه[12]. ورد المؤيد علـى هؤلاء الذيـن قالوا إن اليد بمعنى النعمة أو القوة بقولـه «وحملوا يد الله المذكورة فى القـرآن الكريم على معنـى القوة، ويدل على بطلان قولهم قـول الله مخاطبا لإبليس ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[13] بتشـديد بيِّن صحيح فإن كان معنى اليد القوة فما معنى «قوتـى» إذن وقال تعـالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فما المقصود بهمـا [14] ونظم فى ديوانه

---

(١) ابن اللطى ٩٠ – ٩١.
(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٥٥.
(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٥٦.
(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٨٩.
(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٨٩.
(٦) سورة الرحمن: ٢٧.
(٧) الكشاف ج ٢ص ٣٦٩.
(٨) مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٥٢٢.
(٩) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٩٥.
(١٠) ابن عبد الجبار ص ٤٤.
(١١) سورة المائدة: ٦٤.
(١٢) الكشاف ج ١ ص ٢٢٠.
(١٣) سورة ص: ٧٥.
(١٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٦.

هذه الاختلافات بقوله:

وقـــائل للـــه وجـــه ويـــد وقـــوله هـــذا لديـــه رشـــد
وقـــائل ذلـــك حكـــم باطـــل إن صح ذا فالله شخـــص ماثـــل[1]

العرش وحملة العرش

وتحـــدث أيضا عـــن اختلاف الفرق فى «العرش» «وحملة العـــرش» فقد ورد ذكر العرش وحملتـــه فـــى القرآن الكريم فى عـــدة مواضع كقوله تعـــالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[2] و﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3] إلى غـــير ذلـــك من الآيـــات. واختلفت الفرق الإسلامية فى تفسير هذه الآيات إذ قال مفسرو أهل السنة إن الرحمن يستوى على العرش كالجلوس على الأرائك والســـرر ورووا عن النبى صلى الله عليه وســـلم! - قوله: «جانب العرش على منكب إســـرافيل وإنه ليئط أطيط الرحل الجديد»[4]. أما المعتزلة فقالوا إن قول أهل الســـنة فيه تشـــبيه الخلق بالخالق والله منزه عن التشبه بخلقه، وإنما أراد الله بقوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[5] بمعنى الاســـتيلاء لا الجلوس والاســـتواء[6] وفى الكشـــاف فى تفســـير قوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ هو الاســـتيلاء على الملك. والجهميه من المعتزلة أنكروا وجود العرش واســـتواء الله فوقه[7]. بينما قال هشـــام بن الحكم إن ربه فى مكان دون مكان وإن مكانه هو العرش وإنه مماس للعرش وإن العرش قد حواه وحده[8]. أما حملة العرش فقد اختلفت الفرق فيهم فمن قائل إن الحملة يحملون البارئ وهؤلاء أصحاب يونس القمى[9] بينما ذهب أهل الســـنة إلى أن الحملة يحملون العرش دون الرب تعالى[10]

---

(١) القصيدة الأولى.
(٢) سورة الحاقة: ١٧.
(٣) سورة طه: ٥
(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١١.
(٥) سورة الأعراف: ٥٤.
(٦) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١١.
(٧) ابن الملطى ص ٧٧.
(٨) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٠.
(٩) بحار الأنوار ج ٢ ص ٩١ والفرق بين الفرق ص ٥٣.
(١٠) الفرق ص ٥٣

وإلى هذا الرأى الأخير ذهب بعض الرافضة[1]. وتهكم المؤيد بهذه الأقوال والاختلافات بقوله فى ديوانه:

وقائل يقول عرش يحمله ... وهو يئط تحته إذ يثقله
فإن فى معنى على العرش استوى ... مبتدع كل وركاب الهوى
فواحد بالاستواء قالا ... وواحد قال وقد أحالا
معنى استوى استولى، وهذى مكنته ... وحوله فى دينه وقوته
فكان حينا لم يكن مستوليا ... يا من غدا عن الهدى موليا[2]

وفى هذا الشعر لم يحدثنا عن رأيه وعقيدة طائفته عن العرش وجملته ولكنه قال فى مجالسه: «قال أهل الحديث إن الله يقعد على العرش فيئط تحته كأطيط الرحل الجديد، وأنه يفضل من كل جانب بشرا، ويقولون إنه يحمل العرش الآن أربعة من الملائكة فإذا كان يوم القيامة يحمله ثمانية كما قال «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» والمعروف من حال العرش أن يكون حاملا لا محمولا[3] وقولهم فى ذلك بالضد من المتعارف ثم إن الاعتراض عليهم لازم فى الذين يحملون العرش فينبغى أن يكون هؤلاء عرش العرش وهذه الخرافات إذن لم يرجع بها إلى محصول. وقال أهل الرأى نفيا لأن يكون الله تعالى جسما فيحمله عرش وقلة مبالاة بتحريف الكلم عن مواضعه فى القرآن أن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4] بمعنى استولى واستشهدوا فيه ببيت لولاه لذلوا وماتوا وهو قول القائل:

قد استوى بشر على العراق ... بغير سيف ودم مهراق[5]

فما حصلوا بعد أن اتخذوا هذا البيت سندا لدينهم إلا على تعطيل تنزيل رب العالمين من دون حاصل على طائل. إذا كان هذا العرش المشار إليه ليس يخلو من كونه مخلوقا كخلق

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٥.

(٢) القصيدة الأولى.

(٣) نلاحظ أن المؤيد لم يكن دقيقا فى هذا الرد لأن الملوك أحيانا يجلسون على عرش محمول فيكون عرشهم حاملا ومحمولا.

(٤) سورة الأعراف. ٥٤.

(٥) شبيه بهذا القول ما روى عن ابن الأعرابى النحوى لما سأله أحمد بن أبى دؤاد: أتعرف معنى استولى؟ قال ابن الأعرابى: لا ولا تعرفه العرب لأنها لا تقول استولى فلان على شىء حتى يكون له فيه مضاد ومنازع فأيهما غلب استولى عليه والله تعالى لا ضد له (النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٦٤).

السموات والأرض أو غير مخلوق، فإن كان مخلوقا كان الأولى أن يجرى فى سياقه قوله تعالى: «خلق السموات والأرض والعرش» فكان يغنى به عن قوله «استوى». وإن كان غير مخلوق فلا يعرف إلا خالق أو مخلوق وما هناك قسمة ثالثة مما هو ليس بخالق ولا مخلوق. وسوى هذا فالاستواء معناه فى قضية البيت الذى تعكزوا به هو الاستيلاء، فالاستيلاء من بشر المذكور حصل بعد أن لم يكن مستوليا. فإذن الله تعالى لم يكن مستوليا على العرش ثم استولى كما لم يكن بشر مستوليا على العراق ثم استولى. ولو عرف الفريقان حاملا ومحمولا على غير موضعهما لنجوا من تجسيم الرحمن وتعطيل القرآن. ونحن نشير إلى شىء من هذه القسمة فنقول: إن الجسم حامل للنماء وهو عرش له، والنماء حامل للحس وهو عرش له، والحس حامل للنطق وهو عرش له، والنطق حامل للعقل وهو عرش له: ثم نعكس المسألة فنجعل كل حامل من هذه الأسباب التى فصلناها محمولا فيؤدينا ذلك إلى أن العقل الذى هو الأصل الذى رتبناه محمول الكل وهو حامل الكل، وهذه القصة إذا استوضحناها وعرفنا أن سيكون المحمول حاملا والحامل محمولا غنينا عن رأى الفريقين اللذين أحدهما يقول بتجسيم الرحمن والآخر يقول برد القرآن[1]» إذن العرش فى تأويل المؤيد هو العقل وذكرنا أن العقل هو المبدع الأول الذى رمز إليه فى القرآن الكريم بالكاف من «كن» وبالقلم وذكرنا أن الفاطميين أولوا حملة العرش بالحدود الخمسة الروحانية ثم بحدود أرضية هم النبى والوصى والإمام، فهؤلاء الثمانية هم حملة العرش ولذلك نرى صاحب سرائر النطقاء يؤول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ بأن حملة العرش ومن حوله هم أولياء الله الظاهرون[2].

ولكن تطور هذا التأويل إلى وجه آخر عند إسماعيلية اليمن فاختلف تمام الاختلاف عما ذكره المؤيد ففى زهر المعانى للداعى إدريس: العرش هو العلم الباهر والنور الزاهر والثمانية الذين يحملون العرش هم أساسا آدم هابيل وشيث وأساس نوح سام بن نوح وأساسا إبراهيم إسماعيل وإسحق، وأساسا موسى هارون ويوشع، وأساس عيسى شمعون الصفا فهؤلاء ثمانية حملة العرش لأن الخطاب متوجه إلى محمد وذلك الذى حملوه هو علم علىّ المنتقل من أول الأدوار ومبتدأ الأعصار. وحملة العرش فى دور محمد فاطمة والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق وإسماعيل ومحمد بن إسماعيل فهم حملة السر الخفى الذى

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٧.

(٢) سرائر النطقاء ص ٧.

لا يظهره الله لأحدمن خلقه إلا لهم خاصة[1]. ونجد فى كتاب الشموس الزاهرة لحاتم بن إبراهيم «اعلم أن كل ما ارتفع فهو عرش والعرش المذكور هو العلم وهو ما نزل على أول نطقاء دور الستر الذى هو آدم»[2] من هذا نستطيع أن ندرك ما طرأ على التأويل من تطور بعد انقراض دولة الفاطميين وما تطورت إليه العقيدة الفاطمية فهذا الذى ذكره الداعى عن حملة العرش لم أجد له ذكرا فيما بين يدى من كتب الفاطميين. ولا شك أن دعاة اليمن قد بدلوا كثيرا من العقائد الفاطمية وأولوا القرآن تأويلا يختلف عن تأويل دعاة الفاطميين لأن التأويل شخصى - إن صح هذا التعبير - والحجة هو صاحب التأويل فى عصر كل إمام كما ذكرنا. والحجج تتفاوت بتفاوت ثقافتهم وعقليتهم وقد يقول حجة قولا يخالفه فيه آخر. وسنرى كثيرا من هذه الاختلافات التى تدل على أن علم الباطن الذى اعتقد الفاطميون أنه وقف عليهم من عند الله مختلف فيه أيضا عندهم. بل نرى أحيان اختلافا فى التأويل عند مئوول واحد. فهو يؤول حسب الظروف التى هو فيها وإن كان ذلك التأويل يخالف تأويله السابق فمن الصعب أن نوفق بين تأويل الحجج.

ديك العرش

جاء فى الأثر أن لله ملكا فى خلق ديك براثنه فى تخوم الأرض وجناحاه فى الهواء وعنقه مثنية تحت العرش فإذا مضى من الليل نصفه رفع عنقه فقال: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم المتهجدون. فعندها تصرخ الديوك فى الأرض ثم يخمد شيئا كما شاء الله من الليل ثم يقول سبوح قدوس: رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم القانتون. ثم يسكت كما شاء الله ثم يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم الذاكرون. ثم يسكت كما شاء الله ثم يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ربنا الرحمن لا إله غيره ليقم الغافلون[3] وقد نظم المؤيدهذا كله فى ديوانه[4] وتساءل عن شأن هذا الديك دون أن يشير إلى تأويل هذا القول ولم أجد

---

(١) حاشية المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤٢٦.

(٢) حاشية المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠.

(٣) دعائم الإسلام ج ١ ص ١٣٩ ولم أجد ذكرا لهذا الديك إلا فى هذا الكتاب بعد أن حاولت كثيرا أن أعرف شيئا عنه فى كتب أهل السنة أو غيرهم

(٤) القصيدة الثانية

تأويل ديك العرش هذا فى كتب الفاطميين التى بين يدى وإن كا صاحب الدعائم قد روى هـذا الأثـر عن محمد الباقر. ويخيل إلى أن تأويل ديـك العرش هو الإمام وأن الديوك التى تجيبه هم الدعاة.

الكرسى

ثم تعرض المؤيد لمناقشة أهل السنة والمعتزلة فى أمر الكرسى ومعنى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[1] فأخذ يسألهم عن هذا الكرسى الذى وسع السموات والأرض وما مادته وفائدته[2] وتهكم بالمفسـرين الذين اختلفوا فيما ورد عن الكرسـى إذ قال قوم إن الكرسى هو العرش نفسه. وقال آخرون إن الكرسى غير العرش وهو أمامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش وأن كل قائمة من قوائم الكرسى طولها مثل السموات والأرض. وقيل إن الكرسـى هو الاسـم الأعظم لأن العلم يعتمد عليه كما أن الكرسى يعتمد عليه. وقال بعضهم إن الكرسـى موضع الملك والسلطان فلا يبعد أن كنى عن الملك بالكرسى على سبيل المجاز فالمراد بالكرسى الملك والسلطان والقوة[3].

وترك المؤيد فى ديوانه هذه الأسئلة دون أن يشير إلى المغزى الذى قصد إليه ولا التأويل الـذى اتخـذه وأبناء طائفته. ولكنه تحدث فى مجالسـه عن تأويل الآية السـابقة فقال: والكرسـى مـا يتمهد القاعد عليـه فى مهاد، والمهاد لا يوجد إلا مهاد جسـم ومهاد نفس فمهاد الجسم هو كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾[4] ومهاد النفس هو علم الحقيقة الذى تسـتقر عليه النفس وتثبت فتصير نفسا مطمئنة، فالكرسى هو علم الله الذى تصادف به النفس مسـتقرها ومهادها فى دار الآخرة. وسميت الكراسـة كراسـة اشتقاقا مما يجمع فيها من علم ما تسـكن إليه النفس على وجه ما، والعلم يسـع السـموات والأرض الذين هم النطقـاء والأوصياء وهم سماوات الدين وأرضها التى منها تنشـأ الصور الأبدية المخلوقة لدار الثواب[5]» ولم يخرج تفسـير المؤيد للكرسى عما قاله النسفى فى تفسيره إذ قال «وَسِعَ

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) القصيدة الثانية.

(٣) تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥.

(٤) سورة النبأ: ٦.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٥٨.

كُرْسِيُّهُ السَّمواتِ والأَرضَ» أى علمه ومنه الكراسة لتضمنها العلم وهو كقوله تعالى: «رَبنا وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رَحْمةً وعلْما» أو ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك أو عرشه[1]. وروى عن ابن عباس أنه قال كرسيه علمه[2] فكأن المؤيد قد اتفق مع المعتزلة الذين فسروا الكرسى بالعلم، وأنه فرق بين العرش والكرسى فالعرش عنده هو المبدع الأول أو القلم، والكرسى هو العلم بينما لم يفرق المعتزلة بين العرش والكرسى.

الميزان

وكما اختلف المسلمون فى العرش والكرسى اختلفوا أيضا فى الميزان، فأنكره قوم وقال آخرون إنه ميزان بكفتين من ذهب[3] فنرى المؤيد قد تهكم بما قاله هؤلاء من أن الله تعالى قد أدلى الميزان من السماء وأن للميزان كفتين إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق وتساءل إذا كان الميزان بهذا الحجم فلم لانراه[4] وهذا القول الذى نراه فى الديوان نجده أيضا قد نثر فى المجالس المؤيدية إذ حدثنا المؤيد عن حوار كان بينه وبين رجل تركى عن الميزان وكان رأى الرجل التركى هو مانظمه المؤيد فى ديوانه وما نثره فى مجالسه[5] ومع ذلك لم يصرح لنا المؤيد فى مجالسه عن تأويل الميزان وإن كان قد أشار فى شعره إلى المعنى الذى وضعه الفاطميون للميزان فقال فى ديوانه للإمام:

وميزان رب العالمين الذى به ... توفى الثواب الجزل إذ أنت وفيتا[6]

فى هذا القول نستطيع أن نقول إن الفاطميين أولوا الميزان إلى أنه الإمام كما أولوا الصراط بأنه الإمام.

الأمانة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

(١) تأويل التنزيل للنسفى على الهامش تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥.

(٢) تفسير الخازن ج ١ ص ١٨٥.

(٣) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٥٤

(٤) القصيدة الثانية.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١١٩

(٦) القصيدة السادسة والأربعون.

وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾[1] اختلف المفسرون فى هذه الآية فقال أهل الحديث والسنة إن الأمانة هى كلمة التوحيد وهى «لا إله إلا الله» وقال الزمخشرى إنه يريد بالأمانة الطاعة وأن الله عظم أمرها وفخم شأنها وأن هذه الأجرام العظام من السموات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله عز وعلا وهو مايتأتى من الجمادات، وأطاعت له الطاعة التى تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته، وأما الإنسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعات ويليق به من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف[2]. وقال بعض المعتزلة إن الله عنى بالسموات أهل السموات، وبالأرض أهل الأرض، وبالجبال أهل الجبال، واحتجوا بكون السموات والأرض والجبال مما لايفقه ولايعقل، ومستحيل أن يكون الله سبحانه يعرض أمانته على من لاعقل له ولاتكليف عليه. فوجب أن يكون عرض الأمانة على أهل السموات من دون السموات وأهل الأرض من دون الأرض وأهل الجبال من دون الجبال[3].

وجد المؤيد فى هذا القول مادة لمجادلة المعتزلة والسخرية بهذه الآراء فسألهم فى شعره[4] عن أهل السموات؟ وأجاب عنهم بأنهم الملائكة وقبل هذا الجواب، ثم سألهم مرة ثانية عن أهل الأرض؟ وأجاب عنهم بأنهم الناس وقبل هذا الجواب، ثم سألهم مرة ثالثة عن أهل الجبال هل هم الوحوش الضارية؟ وإذن فما المراد بقوله تعالى ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فمبقتضى تفسير المعتزلة يخرج هذا الإنسان عن أهل الأرض وعن أهل الجبال[5] وقال المؤيد فى مجالسه – إن الأمانة يمتنع عرضها إلا على الأحياء فإذا كان ذلك كذلك فهذه السموات والأرض الشاخصة للأبصار لا يقوم التسبيح منها ولايصلح عرض الأمانة عليها برأى العين الذى لاسبيل إلى رده فإنه رد حكم العيان المتعلق بحاسة البصر لبطل غيره من الحواس التى هى أمثالها من السمع والشم والذوق واللمس، وإذا بطلت هذه بطلت المعارف كلها فلا يصح شىء منها. وكذلك فكلام الله لا سبيل عليه فى الرد والتكذيب لكونه الحق والصدق فإذا امتنع الوجهان فى رد العيان ودفع القرآن ثبت

(١) الأحزاب: ٧٢

(٢) الكشاف

(٣) ابن عبد الجبار ص ٢٨٧.

(٤) القصيدة الأولى.

(٥) انظر أيضا المجلس ٢٧ ج١ ص٢٠.

أن لله سموات وأرضا غير المحسوسة المشاهدة الحسية ناطقة قائمة بتسبيحه ملبية بأن يعرض عليها الأمانة حسبما أورده فى كتابه[1]. وفسر قوله هذا بقوله: إن الأمانة هى قول لا إله إلا الله على رأى أهل التفسير وذلك أن هذه الكلمة هى سبب النجاة والوصول إلى دائم الحياة. والكلمة معرفة وهى الأمانة من حيث معرفة السموات والأرض والجبال إنها متماسكه بها ومتعلق وجودها بوجودها. ثم إن كلمة الأمانة منقسمة إلى جملة وتفصيل. فجملتها متعلقة بحقن الدماء وتحصين الأموال. قال النبى صلّ الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وتفصيلها متعلق بنجاة الأرواح كقول رسول الله «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مخلصا دخل الجنة» فقيل ما إخلاصها يارسول الله؟ قال: معرفة حدودها وأداء حقوقها. وهذا التفصيل الذى هذا شأنه من صفة وصى صاحب الشريعة لكون أحدهما مؤديا مجملا والآخر مؤديا مفصلا حسب تأدية الرجال نطفة مجملة لا يتشكل فيها شيء من شكل العين والأذن والأنف وغير ذلك وتأدية الأنثى تلك النطفة مشكلة مصورة مفصلة. قال النبى صلّ الله عليه وسلم: أنا وأنت ياعلى أبوا المؤمنين أبوهم النور وأمهم الرحمة. فلما كان الوصول إلى معرفة التوحيد المجرد عن التشبيه والتعطيل متعلقا برتبة الوصى وقعت الكناية عن ولايته بالأمانة من حيث إن بها يقع معرفة الأمانة كما سمى الله النبى صلّى الله عليه وسلم ذكرا رسولا من حيث كان حاملا للذكر[2].

إذن نستطيع أن ندرك أن المؤيد أول الأمانة بالولاية، والسموات والأرض والجبال بالحدود الحية الناطقة. فالنطقاء كنى عليهم بالسماء. والأسس والأئمة بالأرض. والحجج بالجبال. أما قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ فقد قال المؤيد فى تفسير هذه الآية: إن الإنسان هو الضد الذى تقمص قميص خلافة النبوة بغير سلطان من الله تعالى ولانص من رسوله استخفافا اما فى مضمارها من معرفة التوحيد المجرد من التشبيه والتعطيل من حيث ثقلت على السموات والأرض والجبال وطأته[3]. على أن المؤيد لم يكن أول من اتجه فى تفسير هذه الآية إلى هذا الاتجاه فقد ذهب المغيرة بن سعيد العجلى – الذى تنسب إليه الفرقة المغيرية من الغلاة – إلى أن الله عرض على السموات والأرض

(١) المجلس ١٨٩

(٢) المجالس المؤيدية المجلس ٢٠٣.

(٣) المجالس ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣.

والجبال أن يحملن الأمانة وهى أن يمنعن عليا من الإمامة؟ فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل نصرة علىّ ومنعه من أعدائه. وأن يغدر به فى الدنيا وضمن له أن يعينه. على شرط أن يجعل له الخلافة بعده ففعل أبو بكر ذلك. وأقدما على المنع متظاهرين وأن الظلوم والجهول أبو بكر[1]. فهذا ماقاله المؤيد أيضاً فى ديوانه:

أمـــة ضيـــع الأمانـــة فيهـــا شيخها الخامل الظلوم الجهول[2]

نلاحظ من ذلك أن الفاطميين اتخذوا قول بعض فرق الغلاة وقالوا بها. فبينما نجد الفاطميين رموا المغيرة بن سعيد بالكفر ولعنوه وتبرأوا منه ومن أصحابه ومن أقوالهم لأنهم استحلوا المحارم وأباحوها وعطلوا الشرائع وانسلخوا من الإسلام وبانوا عن جميع شيعة الحق[3] مع هذا كله نجد المؤيد قد اتفق مع المغيرة فى تأويل «الأمانة» هذا التأويل الذى رأيناه.

تأويل أوائل السور

لعل أوائل بعض سور القرآن الكريم ولاسيما هذه الحروف مثل «كهيعص» و «ق» و «ن» وغيرها من أكثر الآيات التى اختلف المفسرون فى توضيحها اختلافا بينا. ويكفى أن يقرأ الإنسان أى كتاب من كتب المفسرين ليدرك الاضطراب الذى وقع فيه المفسرون. ويعرف مدى هذا الاختلاف بينهم. وافتتح الله تعالى فى بعض سور القرآن الكريم بما أجمع عليه المفسرون بأنها قسم كقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ ولكن الحكمة التى من أجلها أقسم الله تعالى بها لاتزال سرا غير واضح وإن أكثر المفسرون فى الحديث عنها وحاولوا إيضاحها. ومن البديهى أن يتنبه رجل كالمؤيد إلى هذه الاختلافات ويتخذ من اختلاف خصومه سلاحا جديدا لقهرهم به فقد سأل المؤيد فى ديوانه عن معنى إقسام الله تعالى بـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[4] ولم يشأ أن يظهرنا على شىء من آرائه فى تأويل هذه الآيات بل تهكم بخصومه على عادته. أما فى مجالسه فقد قال عن ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ إن أحد أتباع جعفر الصادق

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٠ - ٢٣١ - مختصر الفرق ص ١٤٣.

(٢) القصيدة الخامسة

(٣) دعائم الإسلام مخطوط رقم ٢٥٧٣٥ بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن.

(٤) انظر القصيدة الأولى

فكر فى هذا القسم ولم أقسم به الله فلما لم يهتد إلى جواب يشفى غلته ذهب إلى جعفر يسأله عن هذه الآيه فأخذ عليه الصادق عهدا أن لا يذيع ماسيحدثه به ثم قال للرجل – فما هما عندك؟ قال الرجل هما ثمرتان. قال الصادق صدقت هما ثمرتان شجرهما هذا العالم بعلوه وسفله وسمائه وأرضه، ولكن الله سبحانه ميزهم عن الثمار فأنشأهم بنور علمه وحكمته وظلل عليهما عرشه. قال الرجل – فما هما؟ قال الصادق هما آدم ونوح عليهما السلام. قال السائل وكيف شبهتهما بالثمار والثمار شيء مأكول؟ قال – كأنك لاتعرف من الثمار إلا ما يؤدى إلى المخرج، هما من الثمار التى يؤخذ منهما ولا تفنى لأن ثمار الجنة كالمصباح الذى تستصبح منه ما شئت ولا يعتريه نقص. قال السائل – وكيف وقعت الكناية عن آدم بالتين وعن نوح بالزيتون ولأية علة؟ قال: لأن كل ثمرة يتقدمها ورق ونوار والتين ينشق عنه أعواد الشجر، وكل حى يسبقه حبَل وولاده وآدم استخلصه الله من أديم الأرض عن غير حبل وولادة فمن أجل ذلك مثله بالتين، وخلاصة الزيتون هى الزيت المأخوذة منه كأنه هو الغرض من الزيتون وكمثل ذلك فخلاصة نوح إبراهيم المستخلص من ذريته حتى كأن الغرض من نوح إبراهيم فهو مضمر فى نفس القسم من الله سبحانه، وفى التين الذى رمز به على آدم إضمار إلى القيامة وذلك لكون آدم افتتاحا للحياة الدنيا وكون القيامة اختتاما لها والقيامة لا تأتى إلا بغته ينشق أمر الله سبحانه عنها انشقاق العود عن الطين على حسب وجود آدم بلا مقدمة ولا حاجب. أما معنى ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ فالرمز لموسى عليه السلام و﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو موضوع مناجاته ومكان فضيلته وفيه إضمار مثل الإضمار فى القسمين السابقين وهو المسيح ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾، فالمسيح هو الشجرة الخارجة من طور سيناء النابت من منبعه ملة موسى فشرفه الله ورفعه[1].

أما تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ فقد قال صاحب الكشف «الفجر محمد وليال عشر يريد أمير المؤمنين والشفع والوتر يريد الحسن والحسين[2]». أما المؤيد فقد خالف هذا التأويل إذ قال إن الفجر نور ينفجر وينبثق عن الظلام فيمحقه ويسحقه ويمحو آثاره ونحن نفسر ذلك بما قال النبى صلّ الله عليه وسلم مجملا «لو بقى من الدنيا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج الله من أهل بيتى رجلا يملأ الأرض

(١) المجلس ١٥، ١٦.

(٢) الكشف على هامش المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥١.

عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا» وذلك هو قائم أهل البيت[1] فالفجر إذن فى تأويل المؤيد إشارة إلى قائم القيامة أو المعروف عند فرق الشيعة وأهل السنة بالمهدى المنتظر. والشفع عند المؤيد هو اتصال القائم أو المهدى بحد جسمانى هو بابه لإنفاذ أحكامه فى عالم الجسم. والوتر مثل على إظهاره أنه فرد منفرد برتبة القيامة لا يحتاج فيها إلى من يقوم مقام الأوصياء من الأنبياء[2]. من هذا التأويل الذى رأيناه عند جعفر وهذا التأويل الذى رأيناه عند المؤيد نستطيع أن نؤيد ماذهبنا إليه من أن الدعوة الفاطمية منذ عهد الظهور أى بعد قيام المهدى بالمغرب قد تطورت شيئا فشيئا وذهبت إلى شىء من الاعتدال ولكنها بعد انقراض الدولة الفاطمية من مصر وابتداء الدعوة الطيبية باليمن والدعوة النزارية فى فارس والهند عادت إلى تطور آخر وهو مانراه واضحا فى بعض الكتب المتأخرة.

أما هذه الحروف التى وردت فى أوائل بعض سور القرآن الكريم مثل ﴿الٓمٓ﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وأشباهها فقد اختلف المفسرون فى معناها فقال قوم إنها فواتح السور وفواصلها الدالة على ماقبلها وما بعدها. وقال قوم إنها أقسام. وقال آخرون إنه لما قال الكافرون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه جعل النبى هذه الحروف ذريعة إلى أن يسمعوا القرآن لأنه افتتح بها السور. فلما سمع الكافرون هذه الحروف أنكروا ماسمعوه فأتبعه الرسول بغيره واتخذ المؤيد هذا كله موضوعا للتهكم بالمفسرين فذكر فى ديوانه أن لهذه الحروف معان مستورة خفية لا يعلمها إلا خزنة علم الله حتى يتعلق بهم العالم[3] ولم يحدثنا أيضا عن معانيها الخفية ولكنه فى مجالسه رد على المفسرين فقال: لو كانت هذه الحروف فواصل دالة على ماقبلها وعلى مابعدها لكان يجب ألا تخلو سورة منها وقال لمن ظن أنها أقسام إن هذا التفسير أقرب إلى العقول لكن الإقسام بالحروف عجب وأما أن النبى «صلىّ الله عليه وسلم» جعل هذه الحروف ذريعة إلى أن يسمع الكافرون فهذا عند المؤيد أقبح ماورد فى معنى هذه الحروف. ثم قال: أما كون هذه الحروف أقساما فهو كلام المحققين لأن الله سبحانه لا يقسم إلا بأجل ماعنده وأن الإشارة بهذه الحروف إلى أجل حدود الله والملائكة الروحانيين والأنبياء الجسمانيين فحين ذكر حرفا واحدا مثل ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ و﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ فهو مشار به إلى أعلى الحدود منزلة وأرفعها

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢١٠.

(٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢١٢.

(٣) القصيدة الأولى.

درجة هذا إلى أن يستكمل الحروف الخمسة لأن الحروف لم تزد على خمسة منها شيئا. وذلك قوله تعالى ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿حٰمٓ﴾ وما بقى بعد ذلك فهو أربع إلى ثلاث إلى اثنين إلى واحدة ففى كل حرف من هذه الحروف إشارة إلى حد من الحدود الروحانية والجسمانية[1].

كذلك تعرض المؤيد للقائلين بالتلاشى المدّعين أن مصير العالم إلى لا شىء لم يترك هذا الرأى دون أن يدحضه بحججه فتحدث فى ديوانه[2] عن التلاشى والرد على القائلين به وقال فى مجالسه[3] إن حكم التلاشى فرع على إثبات صانع فإن كان هنالك صانع امتنع أن يفعل فعلا مصيره إلى لا شىء والله تعالى خلق الإنسان مثلا جامعا لآلات شتى منها ما يبصر وما يسمع وما يشم ويذوق وجعل بعد ذلك كله العقل والنطق الذى يترجم به عن الأفلاك والنجوم فمن ضعف العقل أن يقال إن الله تعالى بعد أن خلق هذا كله يعود فيفسده ويتلفه ولايبقى منه محصول. ثم إن الإنسان مدرج به إلى حد كماله تدريجا من سلالة إلى نطفة إلى أن ينتهى إلى الخلق الآخر فمن المحال أنه إذا انتهى إلى هذا الحد الذى هو أشرف وأفضل فيكون قصاراه التلاشى بل ينبغى أن يترقى إلى ماهو أجمل وأعظم. وإذن فحكم التلاشى باطل إن صح وجود فاعل. أما إن لم يصح وجود فاعل. فتساءل المؤيد عن الأفلاك الدائرة والنجوم السائرة إذ خصص كل فلك وكل نجم لعمل خاص وحركة خاصة فالشمس لا تفعل مايفعله القمر مثلا مما يدل على أن هذه الأفلاك مجبرة مدبرة وذلك يثبت أن لها خالقا وصانعا يديرها ويصرفها كيف شاء[4] واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[5] وإذن فحكم التلاشى باطل على هذا النحو أيضا. ورمى المؤيد القائلين بالتلاشى بالإلحاد والكفر وتبرأ منهم[6].

من ذلك نستطيع أن نبرىء الفاطميين مما رماهم به خصومهم من القول بأنهم من أصحاب التلاشى كالذى زعمه الغزالى فى كتابه المستظهرى مثلا[7].

---

(١) راجع المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢١٢.

(٢) القصيدة الخامسة.

(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٩٢.

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٧.

(٥) سورة الأنبياء: ١٦.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٨.

(٧) المستظهرى فى عدة مواضع.

أما التناسخ فقد قال البيرونى[1] وقال بعض من مال إلى التناسخ من المتكملين إنه على أربع مراتب «النسخ» وهو التوالد بين الناس لأنه ينسخ من شخص إلى آخر، وضده المسخ ويخص الناس بأن يمسخوا قردة وخنازير وفيله. والرسخ كالنبات وهو أشد من النسخ لأنه يرسخ ويبقى على الأيام ويدوم كالجبال وضده الفسخ وهو للنبات المقطوف والمذبوحات لأنها تتلاشى ولاتعقب. ولكن صدر الدين الشيرازى ذكر فى كتابه الأسفار الأربعة أن «التناسخ» فى النزول إنسانا كان هو النسخ. أو حيوانا وهو المسخ. أو نباتا، وهو الفسخ. أو جمادا وهو الرسخ[2] فكأن صدر الدين الشيرازى قد اختلف عن البيرونى فى الرسخ فبينما هو عند البيرونى فى النباتات غير المقطوفة كالأشجار نجده عند صدر الدين فى الجماد. أما المؤيد فقال فى تهجين آراء أهل التناسخ إن هؤلاء قالوا إن العقاب ترديد الأرواح المعذبة فى جلود الكلاب والقرود والخنازير وذلك يسمى مسخا. أو فى الحيات أو فى العقارب وذلك يسمى بزعمهم فسخا. أو يجعل ذلك حجرا أو صخورا وذلك يسمى رسخا[3] فاختلف بذلك عما أورده البيرونى وصدر الدين عن الفسخ واتفق وصدر الدين على الرسخ مخالفا فى ذلك أقوال البيرونى. ومهما يكن من شىء فمذهب التناسخ قديم عرفة البراهمة فى الهند كما عرفه الفرس واليونان وانتقل إلى المسلمين فأخذ به بعض الفرق الإسلامية أمثال الرزامية[4] والمقنعية[5] وانتشر هذا الرأى بين المسلمين حتى إنا نجد شاعرا كأبى العلاء قد تهكم بهذا المذهب فى رسالة الغفران[6] وسخر من التناسخ فى لزومياته كقوله:

فما بال هذا العصـــر مـا فيـــه آيـــة ... من المسخ إن كانت يهود رأت مسخا

وقـــال بأحكـــام التنـــاسخ معشـــــر ... غلوا فأجازوا الفسخ فى ذلك والرسخا

---

(١) ص ٣٢ الفصل السادس من كتاب تحقيق ما للهند من مقول ومعقول

(٢) المجلس الرابع ص ٩٧

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦٠

(٤) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٨.

(٥) الشهرستانى ج ١ ص ١٥٩. وجاء فى تلبيس إبليس ص ٢٤ وص ٨٥ أن من الروافض فرقة قالوا إن الأرواح تتناسخ فمن كان محسنا خرجت روحه فدخلت فى خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئا دخلت روحه فى خلق تشقى بعيشه.

(٦) ص ٢٥٢ طبع مطبعة المعارف.

وكقوله أيضا:

فلو صح التناسخ كنت موسى وكان أبوك إسحق الذبيحا

وقوله:

يقولون إن الجسم ينقل روحه إلى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن مايخبرونك ضلة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

أما المؤيد فلم يترك القائلين بهذه المقاله دون أن يشهر بهم ويدحض حجتهم فحاجهم فى ديوانه[1] بأن سأل أهل التناسخ عن بدء جوهر النفوس فإن اعتقدوا بجوهر نفوسهم فالنفوس تعود إلى أصلها ككل شيء آخر. أما إذا نفوا الأصل وقالوا إن الدنيا هى دار الثواب ودار العقاب وأن المثابين هم أهل الثورة واليسار والمعاقبين هم أهل القلة[2] فكل عاقل يعلم أن لذات الدنيا هى دفع مضارها فألذ مايكون الطعام إذا كان المرء مرهقا بالجوع وألذ مايكون الشراب إذا كان الشارب مرهقا بالعطش. فلذات الدنيا على هذا النحو لدفع البوائق وكف العوائق. وجاء فى المجالس المؤيدية «إنسان ما دام على قيد حياته مريض بأمراض مختلفة يقضى زمانه بمداواة كل جنس فتارة يداوى الجوع وأخرى يداوى الظمأ وتارة يميط الأذى عن نفسه بما يحيط به آكل الطعام وشارب الشراب وتارة يداوى نفسه بنومه وتارة يداوى بمعالجة شهواته فهو على هذه الوتيرة يؤديه داء إلى داء وبلاء إلى بلاء فقبحا لجنة يكون هذا موضوعها وتكون موجودة فيها هذه الآفات جميعها. وأما قولهم إن الأرواح المعذبة تردد بالمسوخية فى الكلاب والذئاب والحمر والبقر فإن كان الأمر على مايقولون فى الثواب والعقاب قد رخص الثواب وهان العقاب. أما الثواب فبحجة ماتقدم أن لذات الدنيا هى دفع المضار فلو كفينا الجوع لبطلت لذة الأكل. ولو كفينا الظمأ لبطلت لذة الشراب. وعلى هذا القياس جميع لذات الدنيا. وأما العقاب وهو ماقالوه عن المسخ والفسخ والرسخ فهذه الأصناف التى ستنقل إليها الروح المعذبة والتى هى معذبة بزعم

---

(١) القصيدة الخامسة.

(٢) فى الأشعرى ج ١ ص ١١ أن الفرقة الثانية من الخطابية الذين قالوا إن الإمام بعد ابن الخطاب هو «معمر» زعموا أن الدنيا لاتفنى وأن الجنة مايصيب الناس من الخير والنعمة والعافية وأن النار مايصيب الناس من خلاف ذلك وقالوا بالتناسخ وأنهم لايموتون ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت. ويحدثنا الشهرستانى فى أن أتباع أبى منصور العجلى أولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا (ج ٢ - ١٤).

القائلين بالتناسخ أطيب عيشا من الذى يعتقدون كونه من الجنة لأن هذه الأصناف عادمة للعقول المميزة المشفقة من الموت وما بعد الموت[1] والموت يأتى فيمزق شمل الرجل ويبتم ولده هذا إذا كان الموت هو الموتة الأولى فكيف وقد يتوالى عليه موت بعد موت على رأى من يعتقد هذه المقالة السخيفة من رجعة بعد رجعة[2].

وإذن فقد انتفى عن الفاطميين أيضا القول بالتناسخ وظهر خطأ ماقاله القلقشندى عنهم إنهم طائفة كافرة يعتقدون التناسخ والحلول[3] وماقاله العمرى إن ملخص معتقدهم التناسخ[4] مما يدل على أن عقائد الفاطميين لم يعرفها المؤرخون والعلماء الذين لم يدينوا بالمذهب الفاطمى تمام المعرفة كما أن اختلاف المذهب الفاطمى عن مذهب أهل الجماعة والسنة اضطر كثيرا من الكتاب والمؤرخين إلى أن يرموا الفاطميين بما هم براء منه.

ومع ذلك كله فقد قال الفاطميون بالمسخ ولكن المعنى فيه ليس هو المعنى المتداول المعروف عند القدماء بل بمعنى التغيير من الحالة المحمودة التى عليها المؤمن إلى هذه الحالات المذمومة التى ينكر فيها المؤمن ولاية علىّ بن أبى طالب والأئمة من أهل بيته بعد أن كان مؤمنا بولايتهم[5].

الضد

الضد فى اللغة المثل والمخالف. وتأتى جمعا. ولكن الفاطميين اتخذوا لفظ الضد بمعنى المخالف وصار اصطلاحا خاصا من مصطلحاتهم. إذ قالوا إن الله تعالى أرسل أنبياءه إلى الناس جميعا فمنهم من صدق وآمن ومنهم من كذب وخالف. فالذين خالفوا الأنبياء هم فى تأويل الفاطميين الذين أشار إليهم الله تعالى بقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[6] فالحجارة قوم كنى عنهم الله تعالى بهذه الكناية وهم فى حد التأويل قوم لم يتصلوا بحدود الدعوة ولم ينجع فيهم آثار الحكمة فهم من حيث الإنسانية كالجماد وإن كانت صورهم

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٧.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٤.

(٣) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٣٨.

(٤) مسالك الأبصار نسخة خطية بدار الكتب المصرية

(٥) راجع كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن على هامش جامع الحقائق.

(٦) سورة التحريم: ٦.

ألفية وأشكالهم إنسانية[1] أما تأويل الناس فهم الغلاة الذين أنسوا رشدهم فنافروه مروقا عن دين الله وغلوا فى أولياء الله [2]. أما قوله تعالى ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فقد قسم الفاطميون الكفار إلى قسمين أحدهما: «من سحب ذيله على الحق الذى استبانه واستوضحه طلبا لرياسة باطل وحسدا لصاحب الحق على حقه كأضداد الأوصياء والأئمة فى كل عصر والمتوثبين على مكانتهم فى الوصاية والإمامة. والقسم الآخر من اتبع الأضداد على رأيهم واقتدى بهم فى باطلهم»[3].

من هذا نستطيع أن نعرف أن الضد عند الفاطميين هو كل من اغتصب الوصاية أو الإمامة فى كل عصر وفى كل دور ولذلك قالوا «لكل زمن إبليس وآدم»[4] وفى كتاب الفترات والقرانات حديث طويل عن أضداد الأنبياء وأسمائهم[5] فقال مؤلف هذا الكتاب إن ضد آدم هو إبليس. وضد إبراهيم النمرود بن كنعان. وضد موسى فرعون وهامان. وضد عيسى بختنصر. وذكرنا أن الفاطميين قالوا إن دور محمد يقابل أدوار غيره من الأنبياء وأن كل ما كان فى عهد الأنبياء قبله جرى فى دوره. فلذلك سمى الفاطميون الضد فى دور محمد بأسماء الأضداد الذين كانوا فى عصور الأنبياء السابقين. وأولو الآيات القرآنية التى وردت فى الذين خالفوا الرسل بأن الله تعالى قصد بهم أيضا هؤلاء الذين خالفوا محمدا وعليا والأئمة من ذريتهما. ولذلك تبرأ الفاطميون من كل هؤلاء الذين خالفوا النبى والوصى والأئمة بل من جميع الفرق الإسلامية التى رفضت الدخول فى الدعوة الفاطمية فاشترك الفاطميون فى هذا الاعتقاد مع جميع فرق الشيعة الأخرى إلا فرقة الزيدية الذين أجازوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

وللفاطميين حديث طريف عن أبى بكر أشار إليه المؤيد فى ديوانه وأكثر من الحديث عنه فى مجالسه كما أجد له ذكرا فى أكثر الكتب التى بين يدى من كتب الدعوة. ذلك أن أبا بكر كان حجة جزيرة لآخر إمام فى دور عيسى. وبحكم مكانته علم أن الله تعالى سيرسل نبيا يختم به الأنبياء. فطمع أبو بكر فى أن يكون هو النبى. ولكن الله أرسل

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥.

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥.

(٣) المجالس ج ١ ص ٨٦.

(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٣٤.

(٥) الفترات والقرانات ص ١٣ وما بعدها.

محمدا فاضطر أبو بكر إلى أن يؤمن بنبوة محمد طمعا فى أن يلى الوصاية. فكان أبو بكر من أوائل الذين اعترفوا بنبوة محمد[1] وعلم أبو بكر أن الله تعالى نص على وصاية على ابن أبى طالب. ولكنه عمل على اغتصاب حق علىّ. وقالوا إن أبا ذر الغفارى سمع أبا بكر وعمر وغيرهما ممن خالف عليا يتشاكون فيما بينهم أن النبى صلّ الله عليه وسلم. جمع الرياسة فى بيته وأنهم عزموا فيما بينهم على مخالفة نص الوصاية ونقل أبو ذر هذا الحديث إلى النبى فاستدعى هؤلاء القوم فأقسموا بين يديه أنهم ماقالوا بهذا القول. وفى هذا الحديث اعتقد الفاطميون أن الله تعالى أنزل قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾[2] ثم إن أبا بكر أراد أن يرد الحق إلى أهله وأن ابنه محمدا كان يعظه ويحضه على اتباع علىّ[3] ولكن عمر أغراه ومنعه على أن يلى الأمر بعده[4] فكان عمر خليل أبى بكر وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[5] «قال صاحب السرائر فى تأويل هذه الآية، يعنى الظالم الثانى ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ يعنى ثانى الظلمة أى أنه لما أحلت به الندامة لما عنى أنه أطاع الرسول فى ولاية على الذى هو سبيل الله ولم يطع شيطانه ولا اتخذ خليلا يعنى الذى قوى ضلاله وصده عن طاعة وليه وإمامه حتى ادعى منزلته[6] وأول الفاطميون قول أبى بكر «لى شيطان يعترينى فإذا زغت فقومونى» وقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾[7] إن الشيطان هو عمر[8] لهذا كله تبرأ الفاطميون من الشيخين ونعتوهما بكل ما اتصف به إبليس وفرعون وهامان والطاغوت وغير ذلك من الصفات التى وردت فى القرآن الكريم عن أضداد النطقاء السابقين. كما سموا هذين الشيخين وخلفاء الأمويين والعباسيين بالدجال الأعور لأنهم

---

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٦ وج ٢ ص ٨٨

(٢) سورة التوبة. ٧٤

(٣) شرح الرسائل ج ٢ ص ١٦٣ (على هامش المجالس).

(٤) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٣.

(٥) سورة الفرقان: ٢٨.

(٦) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٢.

(٧) سورة النساء. ٣٨.

(٨) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٣٦.

نظروا إلى الدين بعين واحدة وهى عين الظاهر دون الباطن. واعتاد بعض كتاب الفاطميين إذا أراداوا أن يكتبوا اسم أبى بكر وعمر وعثمان فى كتبهم أن لا يستعملوا الحروف العربية بل اتخذوا رموزا خاصة لهم. بل لكل كاتب رمز خاص به فالرموز التى فى كتاب الكشف تخالف ما فى الرسالة الجامعة لإخوان الصفا[1] أما المؤيد فقد كان صريحا أكثر من زملائه فكان طورا يقول: «الظالم الأول» وطورا «الذى اغتصب الوصاية دون نص» وسماه فى ديوانه «الهبل الأول» وهو اسم لصنم كان بالكعبة. بل صرح أيضا باسم عتيق وهو لقب أبى بكر[2] أما عمر فسماه المؤيد فى الديوان "بأدلم" والأدلم فى اللغة الشديد السواد والداهية وهو لقب لبنى ضبة لشدة سوادهم وربما يكون السبب فى أن المؤيد سمى عمر بن الخطاب بأدلم أن أم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة كانت سوداء[3] وصرح كذلك باسم نعثل يريد بذلك عثمان بن عفان[4].

وسمى جمهور المسلمين الذين لا يدينون بمذهبه بأولاد الزنا[5]. وفسر فى مجالسه سبب

(١) ومن الخير أن نثبت هنا الرموز التى استعملها جعفر بن منصور فى كتابه الكشف وهى المرقومة (أ) والتى استعملها إخوان الصفا فى الرسالة الجامعة، وهى المرقومة (ب)

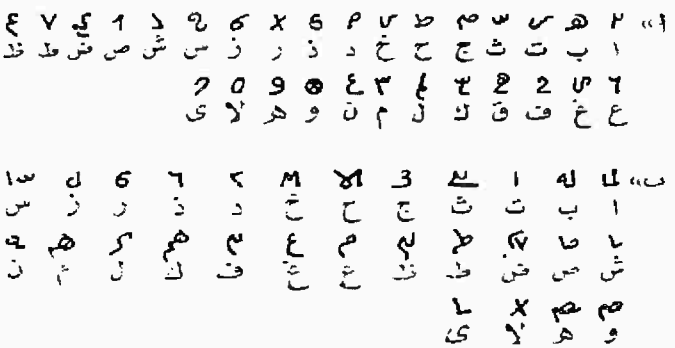

(٢) فى مختصر التاريخ المنسوب للقضاعى مخطوط رقم ١٤٩٠ بالمكتبة الأهلية بباريس ورقة ٥٥ ولقب أبو بكر بعتيق قيل لجمال وجهه وقيل لقول النبى له "أنت عتيق من النار".

(٣) الإصابة ج ٢ ص ٢٧٩.

(٤) النعثل فى اللغة الشيخ الأحمق ويهودى كان بالمدينة ورجل لحيانى كان يشبه به عثمان بن عفان إذا نيل منه فالذين ثاروا على عثمان بن عفان لقبوه بهذا النقب ومن الطبيعى أن يلقبه الفاطميون بهذا اللقب أيضا.

(٥) انظر القصيدة الأربعين.

هذه التسمية بقوله إن النبى صلّى الله عليه وسلم! – قال لعلى «أنا وأنت أبوا المؤمنين» وقال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[1] فأبان الله تعالى أن الرسول أبوهم وأبان النبى صلّ الله عليه وسلم أن عليا أمهم وبما أن هؤلاء المسلمين قد أنكروا عليا فقد انتفوا من آبائهم وأمهاتهم فهم أولاد زنا"[2] وسماهم أيضا بالنواصب أو الناصبة وقال صاحب القاموس النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علىّ ولأنهم نصبوا له أى عادوه ولكن صاحب كتاب "ذكر الفرق المبتدعة" قال إن النواصب هم الخوارج[3]. أما المؤيد فقد فرق بين الخوارج والناصبة بقوله فى قصيدته المسرطة:

هذا الذى يلسعنى من خارج من ناصبى كاشح وخارجـــى

وكذلك جميع كتب الدعوة تسمى أهل السنة بالنواصب.

هذا رأى الفاطميين فى الفرق التى خالفتهم وجدير بنا أن نعرف رأيهم فى فرقة الإثنى عشرية ولا سيما وقد عرض المؤيد لأئمتهم فى ديوانه على أنهم من المخالفين ورماهم بالكفر أيضا[4] وبسقم العقل[5] وقال فى مجالسه «إن من يتوقع طلوعه من السرداب ليس يخلو حاله من كونه بشرا يأكل ويشرب فكانت الضرورة تؤدى إلى تصرم عمره منذ زمان. وإن كان فى غير أسلوب البشرية فما ينبغى أن يكون غير بشر من نسل بشر وإذا كانت أيدى الحدثان عنه مغلولة فما الذى يقتضى لزوم الستر والكتمان[6]» وقال مرة أخرى وأحد يتشيع طامحا طرفه نحو ممتنع يأبى جوازه (ثم ذكر مايشبه القول السابق فى المعنى إلى أن قال) ومعلوم أن أولاد عمنا أبى إبراهيم موسى بن جعفر مافيهم من قاد عسكرا أو أثار من الملك عثيرا ولا من توج بذكر على وفاطمة وولدهما منبرا كفعل آبائنا الأئمة الهداة البررة فأى الفئتين أسبق عند جدها وأبيها بالفضل. ثم قال... إن من صح وجوده من أولاد موسى الكاظم ليس عندهم علم خاص بهم. وأنهم ارتموا فى أحضان المعتزلة واستقوا من علماء الكلام

---

(١) سورة الأحزاب: ٦

(٢) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٣١

(٣) كتاب ذكر الفرق المبتدعة لأبى محمد عثمان العراقى نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ٦٤٢١ – د.

(٤) القصيدة السادسة

(٥) القصيدة الثالثة عشرة

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠٦.

أصول التوحيد على مذهب المتكلمين فخسروا بذلك علم الأئمة[1]. ونجد فى رسائل إخوان الصفا تهكما بفكرة الإمام المختفى التى قال بها الإثنى عشرية وبعض فرق الشيعة «فالقول بالإمام المنتظر إنه لا يظهر من خوف المخالفين فمن الآراء الفاسدة والاعتقادات المؤلمة[2]». وفى الوقت الذى هاجم فيه المؤيد الإثنى عشرية بمثل هذه الأقوال نراه فى القصيدة الثالثة والعشرين قد ثار لما ورد إليه الخبر بأن العباسيين نبشوا قبر موسى الكاظم عام ثلاثة وأربعين وأربعمائة ففى هذه القصيدة نجد المؤيد قد مجد موسى الكاظم وقدسه وهدد العباسيين عامة وابن المسلمة وزيرهم خاصة ودعا بالثورة ضدهم. ولكن المؤيد لم ينشد هذه القصيدة فى موسى الكاظم لأن الكاظم كان أحد أئمته. أو أن المؤيد كان يعتقد فى إمامته بل لأن موسى من ولد جعفر الصادق فهو أحد أهل بيت النبى. والمؤيد كان يدافع عن أهل البيت عامة والأئمة الفاطميين من نسل محمد بن إسماعيل خاصة. ثم هناك وجه آخر لثورة المؤيد لما حل بقبر موسى ذلك ماوجدته فى مجموعة خطية بها مقتطفات من بعض كتب الفاطميين فقد جاء فى هذه المجموعة نقلا عن كتاب «زهر المعانى» أن موسى الكاظم لم يجعله الصادق عليه السلام إلاسترا على ولى الأمر – محمد بن إسماعيل – لينكتم أمره عن الأضداد ولئلا يطلع على ما خص به أهل العداوة والعناد وفى نفس هذه المجموعة أيضا عن الجزء الرابع من كتاب عيون الأخبار للداعى إدريس. والموسوية قالت بإمامة موسى بن جعفر كان أكثر اجتماع شيعة الصادق عليه السلام على موسى وعلى القول بإمامته وادعى موسى الإمامة لنفسه قيل إن ذلك تقية منه على الإمام – محمد بن إسماعيل – وأنه لو ملك الأمر لرده إلى أهله وأحله محله لهذا نستطيع أن ندرك سبب تقديس المؤيد لموسى الكاظم بالرغم من أنه كفر شيعته وأتباعه.

---

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧٦ و٧٧.

(٢) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص٨٧.

الفصل الرابع
قصص الأنبياء فى ديوان المؤيد

الأنبياء فى ديوان المؤيد

خالف الفاطميون جمهرة المفسرين فيما ذهبوا إليه عن الأنبياء. وفى تفسيرهم لقصص الأنبياء الواردة فى القرآن الكريم إذ ادعى الفاطميون أن قول المفسرين يعرض الأنبياء إلى رميهم بارتكاب المعاصى بينما عصم الله أنبياءه عن كل معصية. أما قصص الأنبياء التى فى القرآن الكريم فقال الفاطميون إن لها تفسيرا ظاهريا هو ماقال به جمهور المفسرين. ولها تأويل باطنى هو الذى أبعد المعاصى عن الأنبياء. وقال المؤيد فى مجالسه يبجن تفسير أهل الظاهر "إن الله بعث أنبياءه لتقويم الأود وإيضاح المسلك الجدد. فإن كان كذلك فما بال كل واحد منهم قد ارتكب جريرة على مايزعمه المفسرون كعصيان آدم أولا بتعريضه للشجرة وأى فائدة كانت فيها؟ ولم حظرت عليه وأبيح له ماسواها؟ ومامعنى قوله فى قصة إبراهيم ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ وهل بعد هذا مرتقى يرتقى بجرم فى الشرك بالله أكفر خلق الله فضلا عمن يكون قد اتخذه خليلا؟ وهل هو إن كان بهذه المثابة فى سقم الاعتقاد إلا كافر؟ وهل داود الذى هو خليفة الله فى أرضه إن كان مايزعمونه بعث أوريا فى سرية ليقتل وينتزع عنه امرأته يصلح أن يكون خليفة عن الله. تعالى الله أن يكون خلفاؤه بهذه المثابة. وهل محمد خاتم النبيين إن كان يعشق امرأة زيد إذ رآها فحرمت على زوجها وحلت له على مايقولونه إلا فى أمره نظرة. وهل المفترى عليه ذلك إلا كافر بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وأمثال ذلك كثيرة مما وقعوا منه فى لجة المآثم ونسبوا إلى أطهار خلق الله وأخياره كل العظائم"[1] هذا ماذكره المؤيد فى تقبيح تفسير علماء أهل السنة لقصص الأنبياء وهذا نفس ماجاء أيضا فى ديوان المؤيد[2] بل تكاد تكون نفس الألفاظ التى فى شعره. أما تأويل قصص الأنبياء فلم يحدثنا عنها فى شعره ولم يذكر منها إلا اليسير فى مجالسه. ولكنى عثرت على بعض كتب

(١) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦٣

(٢) القصيدة الأولى

فى التأويل ككتاب أساس التأويل للقاضى النعمان[1] وهو الكتاب الذى ترجمه المؤيد إلى اللغة الفارسية، وكتاب سرائر النطقاء وكتاب أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن وهذه الكتب الثلاثة تتحدث كلها عن قصص الأنبياء والتأويل الفاطمى لهذه القصص. وبفضل هذه الكتب أستطيع أن أتحدث عن آراء الفاطميين فى الأنبياء. ولكن يجدر بى أن أذكر قبل الحديث عن الأنبياء أن هذه الكتب تختلف فى التأويل وهذا دليل آخر نقدمه على أن التأويل شخصى يختلف باختلاف الحجة الذى هو صاحب التأويل فى عصره، ومع ذلك نجد المؤيد اتفق مع القاضى النعمان اتفاقا يكاد يكون تاما مما يدل على أن المؤيد متأثر بالقاضى النعمان.

سمى الفاطميون الأنبياء بالنطقاء لأن النطق كما قالوا "قسمان أحدهما مايتميز به الإنسان عن البهائم وهو النطق عما فى الدنيا، والآخر النطق عما فى الدار الآخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب. وهو الذى لا يستطيع الإتيان به الإنسان العادى بل يأتى من الأنبياء[2] ويتضح من كتب الفاطميين التى بين يدى أنهم لم يؤولوا قصصهم إلا لإثبات المقابلة بين عصر كل ناطق وبين عصر النبى محمد، وأن محمد صلىّ الله عليه وسلم اضطهد كما اضطهد غيره من الأنبياء، وأن الأضداد تغلبوا على وصية كما تغلب الأضداد على أوصياء الأنبياء من قبل. فكأن الفاطميين استغلوا قصص الأنبياء التى وردت فى القرآن الكريم لإثبات الوصاية والإمامة. وقد صرح المؤيد بذلك فى مجالسه فى مواضع عدة فقال مثلا: زعم الزاعمون ممن صرف وجهه عن اتباع أولياء الله وصفوته ولجأ فى دين الله سبحانه إلى حوله وقوته أن الأنبياء والقصص المشتمل عليها كتابه العزيز هى أخبار وآثار وأن المنفوع منها ذكرى واعتبار. وقال الأئمة الصادقون بل ينبغى أن يجرى فى مضمار شريعة الرسول جميع ماجرى فى الشرائع المتقدمة مثلا بمثل واستدلوا بقوله صلىّ الله عليه وسلم! «لتسلكن سبل الأمم قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع حتى لو دخلوا خشرم دبر لدخلتموه» وقوله صلى الله عليه وسلم! - «كائن فى أمتى ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فهذه الأمة تابعة لجميع الأمم المتقدمة فى أفعالها وآثارها وجارية على منهاجها وممثلة لمثالها. وإذا ثبت ذلك كانت قصص آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى محصورة فى شريعة النبى محمد فحيث ما انصرف القول وتوجه الكلام من مرمى قريب أو بعيد كانت الإشارة فيه متوجهة إلى

(١) نسخة خطية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٧٣٤

(٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦.

حاضر شهيد[1] ولما كان ذلك كذلك فإن ما ورد من ذكر الأنبياء في ديوان المؤيد له تأويل خاص طبق على عصر النبى صلىّ الله عليه وسلم وعصر كل إمام من الأئمة الفاطميين.

أما معجزات الأنبياء فقد اعترف بها الفاطميون ولكن أولوها تأويلا لا يتفق فى كثير ولاقليل من المعروف. كما أنهم اعترفوا بأن الأوصياء والأئمة والحدود يأتون بالمعجزات أيضا فقالوا إن المعجزات خاصة بالأنبياء والأئمة والحدود لأن الله سبحانه وتعالى اقتضى أن يقيم من البشر من يناسب الملائكة مناسبة تامة بلطائفهم ويناسب البشر مناسبة تامة بكثائفهم وهؤلاء يعكفون على النفوس البشرية فينزعون عنها الكثافة[2] ومعجزة الوصى والأئمة هى علوم الباطن التى اختصوا بها دون غيرهم من البشر وبهذه المعجزة يرتقى المؤمن بعد مماته إلى ما يناسبه من الحدود العلوية فتصبح نفسه مؤثرة فى عالم الكون بعد أن كانت خاضعة لتدبير العقول الروحانية. وبهذه المعجزة يحيا المؤمن بعد موت الجهالة. فالإعجاز إذن أن يقلب الإنسان ملكا وهو دون مايقول له جمهور العلماء من ذكر تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجرى هذا المجرى.على أن المؤيد قال عن هذه المعجزات التى يقول بها جمهرة العلماء وأهل القصص. على أن ذلك وما هو فى مثل حاله مما تقوم به براهين النبوة للجاهلين صحيح لا مرية فيه يصححه العقل ويوجبه البرهان وذلك أن الأنبياء رؤساء البشر ولذا فنفوسهم المفتقرة إليها نفوس الخلق بما لها من المنزلة العلية أشرف النفوس وأجسامهم المجاورة لنفوسهم الزكية أشرف الأجسام ولذا لا يستكثر أن يوجد الله تعالى فى الأنبياء خاصية تقوم فيها المعجزات[3] وقال مرة أخرىإن المحقين لا يستصحون النبوات إلا من المعجزات العلمية دون تسبيح الحصى وكلام الذئب وغير ذلك أما هذه فلا ننكره[4] ولكن الذى أنكره الفاطميون هو مطالبة الأنبياء بالمعجزات وقالوا إن مطالبة الأنبياء بالمعجزات فى قانون الدين مذمومة. لأن النبى مهما أتى بمعجزات لم تغن شيئا عند ظهورها ومن عرف مقام الأنبياء ومقاديرهم النفسانية من جهة الأوصياء والأئمة غنى بما يظهرونه من الإعجاز وخرق العادة من حيث النفوس عن مطالبتهم بإظهار المعجزات من حيث الأجسام[5].

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨.

(٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٤.

(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦.

(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨٦.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦.

قصة آدم

لم يحدثنا المؤيد عن قصص الأنبياء كلهم كما لم يحدثنا إلا عن جزء يسير من كل قصة. وهو الجزء الذى استطاع به أن يكاسر خصومه – كما يقول الفاطميون – ففى قصة. آدم مثلا تحدث عما سمى بخطيئة آدم وأول قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] فقال فى التفسير إن الله أسكن آدم الجنة وأباح له ثمراتها غير الشجرة المستثناة منها. قالوا هى الحنطة والحنطة من حيز الزروع لا من جملة الأشجار. وقالوا هى التين[2] أيضا وهذا الكلام خارج عن المعتادات أن يكون صفوة الله سبحانه الذى يصطفيه ويسجد له ملائكته ويبيح له جنته يشح عليه بنبتة من نباتها أو شجرة من شجراتها. فلمن نراه كان يدخرها لأعز منه إنسانا وأعلى من رتبته رتبة ومن مكانه مكانا. وبخل المرء بالشىء يقتضيه حاجة إلى الاستئثار به أو إعداده إياه لمن يكرم عليه. ولا حاجة بالله إلى طعام يطعمه فيكون قد ادخر ذلك لنفسه، وإن كان قد ادخره لمن يكون؟ فهل يكون أكرم ممن جعله للملائكة قبلة واختاره صفوة. وإذ كان جميع ذلك ممتنعا من الله سبحانه مستحيلا واجب أن يطلب العاقل سبيلا ينفى عن الله سبحانه فى هذه المضائقة ذميم التهم وعن صفوته آدم مذمة الشره المفرط والنهم. فقوله سبحانه ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فالجنة من حيث كونها فى السماء رفيعة ومن حيث اشتمالها على ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين شريفة. وهى فى التأويل مثل على حد التأييد المتصل بالنطقاء من ربهم. وهو من حيث العلو عال يطلع منه على نفوس البشر مثل اطلاع بنى آدم على من دونهم من الحيوان. ومن حيث كون نفوس أهله والمحظوظين منه مستكملين ملاذ عالم الصفا وثمراته جنة بالتحقيق فتأويل ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ أى تنعما فى حظكما من قوة التأييد الذى هو الأخذ عن الحدود العلوية والتنزه فى الحدائق النفسانية والاستمداد من الثمرات الملكوتية وقوله: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ الأكل الظاهر استمداد المرء من خلاصة نبات الأرض لحفظ صورة جسمه، والأكل الباطن استمداده من عامله الذى هو قرارة نفسه التى بها يتمهد فى دينه كما يتمهد

---

(١) سورة البقرة: ٣٥.

(٢) هذا رأى الزمخشرى فى الكشاف ج ٢ ص ٢٥٥.

الجسم على وجه الأرض ناطقا كان أو أساسا أو إماما أو حجة خلاصة ما عنده من علم يستحفظ به صورة نفسه فالمعنى أن يقتبسا من أنوار التأييد رغدا صفوا بلا كدر حيث شاء وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ فالشجرة المذكورة هى رمز بحد عال لا قبل له بتناوله والوصول إليه وهى الشجرة التى مثلها الله سبحانه فى كتابه بالكلمة التى يقال إنها كلمة الشهادة فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[1] وهى كلمة الشهادة على مافسر و﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قيل هى النخل فيا لها من منزلة عالية للنخل أن كانت ممثلة بتوحيد الله رب العالمين. كلا إنها ليست شجرة نامية كالمتعارف منها إن ذلك شبهة على الجاهلين وهى شجرة محنة آدم بعينها. صدق إبليس اللعين فى قوله: إنها ﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾[2] لكنه كذب فى إيهامه آدم كونه أهلها وخان فى تسويله له أكلها فالشجرة الطيبة فى التأويل مثل الناطق (ص) فى بعض المواضع لكونه فى عامله كالمبدء فى عالمه. وهو أحق بهذه الكناية من النخل وما قال رسول الله «أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها والحسن والحسين ثمرتها ومحبونا أهل البيت ورقها». والشجرة الطيبة فى وجه آخر مثل على قائم القيامة الذى هو مستوفى الأدوار ونور الأنوار المكنى عنه بـ ﴿شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ﴾ سبب زلة آدم التى تدارك نفسه منها بالتوبة والاستغفار. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أى لا تمنيا نفوسكما مكانا لا تنالانه وشأوا لا تلحقانه فتكونا واضعين الشىء فى غير موضعه. وقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ بالنصيحة المغشوشة و﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ معناه الهبوط من درجة التأييد بانقطاع المادة والانفصال من الحدود الإلهية[3].

هذا هو تأويل المؤيد لما عرف بخطيئة آدم. ولكن صاحب كتاب الشموس الزاهرة وهو حاتم بن إبراهيم الداعى اليمنى. أتى بتأويل يختلف تمام الاختلاف عن تأويل المؤيد فقال إن إبليس الذى هو الحارث بن مرة صار يتضرع إلى آدم ويتلطف ويقسم له بالأيمان أنه لا يريد إلا الإخلاص ليعلم من هو وصى آدم من بعده الذى لا يقبل الله من عباده إلا بولايته فأفضى إليه آدم بأن وصيه ولده هابيل – وكان أصغر من قابيل – فلما علم ذلك من آدم تقدم

(١) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٢) سورة طه: ١٢٠.

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٢٢.

إبليس إلى قابيل وقال له إن أباك قد عزم على إقامة أخيك هابيل وصيا له وأنت الكبير وأحق بالأمر منه ثم أمره بادعاء المنزلة فتكبر قابيل وحسد أخاه وقتله ظاهرا وباطنا وادعى منزلته. فكان هابيل الشجرة المنهى عن أكلها وهى المنهى عن كشف مرتبته فكانت هذه خطيئة آدم. فأمر بأخذ العهود والمواثيق من ذلك اليوم على حفظ أسرار أولياء الله[1]. وهكذا اختلف الدعاة فى تأويل هذه القصة بل نجد بعض الدعاة كحاتم بن إبراهيم قد رد على تأويل المؤيد بقوله «وحاشاه (أى آدم) أن يكون منه ذلك لأن المستجيب لا يدعى رتبة الإمام ولا تشره نفسه إلى ذلك فكيف بآدم وهو أول النطقاء بل القول فى أمر ولديه أولى وأحب وأصح لأن ليس آدم بجاهل فيغيب على السر الكبير والحال الخطير[2]». ونجد اختلافا بين جعفر بن منصور اليمن وبين المؤيد فى تأويل قصة آدم إذ قال جعفر "إن الجنة التى أسكنها الله آدم فهى دعوة إمام العصر وأن الحارث بن مرة أى إبليس قد خدم فيها وكان من أحد دعاتها. فلما اصطفى صاحب الوقت آدم وارتضاه وقربه منه وأناله أعلى مراتب الدعوة وأطلعه على جميع حدودها وأسرارها وأعلمه ما لم يعلم به أحد من حدوده فأفقرهم إليه لموضع ترافعهم عليه وأمرهم بطاعته والأخذ عنه وأباح لآدم أن يعلمهم إلا الحارث لأنه أبى أن يطيعه ويخضع له. وكان إبليس هو الشجرة المنهى عن المفاتحة بالعلوم السرية. إذ كان حده قبل إبلاسه كحد الدعاة. فلما امتنع من الطاعة سقطت منزلته وانقطعت مادته فشيطن وأبلس وحسد آدم فأخذ فى غوايته لكى يقع به العصيان فيقطع مواده ويسقط مرتبته فجعل يغويه بالكلام ويظهر له أنه ناصح وعليه مشفق وأخذ يقسم له بالله حتى استقر فى نفس آدم أن جميع مايأتيه به حق. فأطلعه آدم على حد القائم ومرتبته إذ هي نهاية المراتب وأعلاها فلما أظهر أمر الله لعدو الله بغير أمر من الله أخرجه الله من جنته أى قطعه الإمام من دعوته[3] فبينما ذكر المؤيد أن الشجرة التى غَرّ آدم إبليس بها فأطاعه فى تناولها وهى شجرة الخلد وملك لا يبلى والإشارة له إلى صاحب رتبة القيامة التى هى غاية الرتب للحدود الجسمانية[4] نجد الداعى جعفر بن منصور اليمن قال إن الشجرة هى إبليس. وقال الداعى حاتم بن إبراهيم إنها هابيل. وشتان بين هذه

(١) الشموس الزاهرة على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠.

(٢) الشموس الزاهرة على هامش المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٨٠.

(٣) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ١٢.

(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٢٠٥.

الأقوال المتباينة التى لا نستطيع أن نوفق بينها بحال من الأحوال فقد ذهب كل داع من هؤلاء الدعاة إلى جهة تختلف عن التى قصدها الآخر على أننا لا بد أن نذكر أن القاضى النعمانى بن محمد ذكر فى كتابه "أساس التأويل" تأويلا يتفق تمام الاتفاق مع تأويل المؤيد مما يدلنا على أن المؤيد قد تأثر بهذا الكتاب وبمؤلفه إلى أكبر حد.

ولكنى لم أجد اختلافا فى تأويل قوله تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[1] فقال جعفر بن منصور «إن آدم عرف ذنبه فاستقال ربه وتوسل إليه بالحدود العالية فلما استقبل التوبة بالكلمات التى تلقاها. عاد حيا بالمواد التى اتصلت به»[2] وجاء فى الفترات والقرانات «والناطق والأساس والإمام والحجة والداعى مثل على الخمسة الأشباح الروحانية التى جعلها الله على ساق العرش مكتوبة وفيها سأل آدم عليه السلام ربه فتاب عليه»[3] أما المؤيد فقال "كان آدم كلمة ونوح كلمة وإبراهيم كلمة وموسى كلمة وعيسى كلمة ومحمد كلمة وإن وراءهم كلمات مجردة عارية عن الطين اتحدت نفوس هؤلاء الأنبياء بها وتجمعت فيها أنوارها فصارت وهى شىء واحد"[4] فكأن المؤيد كان يرى أيضا أن الكلمات هى الحدود الروحانية الذين يمثلهم فى العالم الجثمانى الحدود السفلية الذين تحدثنا عنهم فيما سبق فإذا رأينا المؤيد قد قال فى شعره واصفا للإمام:

تلقـــــاه آدم مـــن ربـــــه فتاب وصادف حسن المتاب[5]

تستطيع أن تفهم أن آدم لم يتلق الإمام الموصوف من ربه. إنما تلقى آدم من ربه الحدود العلوية. وأعلاها مرتبة حد السابق الذى هو ممثول الناطق وممثول الإمام فى عصر الأئمة.

قصة إبراهيم

تحدث المؤيد بعد ذلك عما ورد فى شأن إبراهيم الخليل وتهكم بما أتى به المفسرون فى تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ

(١) سورة البقرة ٣٧.
(٢) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ١٢.
(٣) الفترات والقرانات ص ١٠٨.
(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٣٦.
(٥) القصيدة ١١.

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾[1] فقد أنكر المؤيد أن يشرك نبى بالله، وأن يتخذ الكواكب والقمر والشمس آلهة له. والنبى معصوم عن الخطأ والله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[3] فالمؤيد تبع الفاطمين فى تهجين قول المفسرين عن إبراهيم[4] واتخذ لنفسه تأويلا آخر يتفق مع عقيدته الباطنية فقال ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ معناه لما أخذ عليه ميثاق الدعوة الذى يفضى بأخذه من المجاز إلى الحقيقة ويتصور بعلمه صورة الآخرة وهو الميثاق المأخوذ على رسول الله آخرا وعلى جميع الأنبياء قبله. والليل رمز على حد المعنى والحقيقة لكون الليل مقصودا به نوم الأعين واستراحة الأجساد من العمل وهو الموت الجزئى وهو تجرد النفوس وترك استعمالها للأجساد وهذه الأشراط كلها داخلة فى حكم الدعوة التأويلية. ومعنى قوله ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ من كواكب الدين علما من أعلام الآخرة. فأعجب بما رآه من ضوئه ونوره ومستفيض شعاعه وأخذ بمجامع نفسه وقلبه. فقال هذا ربى عنى بذلك أنه يربينى ويقوم بشفاء صدرى فيما تتوق إليه نفسى من علم معالم آخرتى. فلما أفل معناه أنه أفل فيه جميع معلوماته فى المدة القريبة بتوقد نار فكرة وتهيئة لنيل رتبة الرسالة التى هى غاية مراتب الجسمانين. قال لا أحب الآفلين يعنى به أن هذا القدر لا يكفينى ولا يشفينى لقيام المطالبة من نفسه بالمرتبة فشخص ببصره إلى ماهو أعلى درجة وأجل فضيلة وهو القمر وزير الشمس. الذى هو مدبر العالم لما يقال إن تدبير العالم فلك القمر. فلذلك توجه إبراهيم فى طلبه إلى القمر الدينى النفسانى الذى به يدور فلك الدين فقال هذا ربى يعنى به أن هذا هو الذى يشفى غلتى ويقوم بإكمال فضيلتى. فلما أفل المعنى فيه لما أنه استوعب ما لديه ورأى لنفسه الرجحان إليه قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين عنى به أن هذه المطالبة القائمة من نفسى ببلوغ كمالها ليس هؤلاء من رجالها وإننى إن قصرت بى هدايتى عما تحركنى له قوتى لأكونن من الضالين عن موضع قصدى ومكان رشدى. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا

---

(١) سورة الأنعام: ٧٦ -- ٧٧ - ٧٨

(٢) سورة لقمان: ١٣.

(٣) سورة النساء. ٤٨.

(٤) راجع المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٦.

ربى هذا أكبر فنقول إن الشمس ملك الأفلاك القائمة بها حياتها وأن لها مثولا من جهة الدين والنشأة والآخرة. وكما أن عنصر الحياة الطبيعية الشمس فعنصر الحياة الحقيقية الشمس الدينية كما قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[1] فقد فرض الله تعالى لنا فى هذه الآية أن الحياة الحقيقية مستفادة من الشمس الدينية. فلما التقى إبراهيم بمن هذه منزلته من الدين وإحياء النفوس حياة الحقيقة ووجد نوره مستوفيا للأنوار وقوته مستوعبة للقوى قال هذا ربى يعنى أنها الغاية التى كنت أطلبها وأنه يشفى نفسى فى بلوغها. فلما أفلت يعنى غربت أنوارها فيه بسرعة وأحاط بجميع ماعنده وانقطعت العصمة بينه وبين الوسائط الجسمانيين واتحدت نفسه بالملائكة الروحانيين وترقى من حد التعليم إلى حد التأييد وصار من المؤيدين بالروح الأمين فعنده قال ياقوم إنى برىء مما تشركون[2].

وقد اختلف تأويل جعفر بن منصور اليمن فى شأن قصة إبراهيم هذه عن تأويل المؤيد بعض الاختلاف. إذ قال جعفر إن الكوكب الذى لاح لإبراهيم هو شقيق إبراهيم الذى سماه «هاران» وأن نور هذا الكوكب هو التأييد ونور العلم فلما حصل لإبراهيم من النور فى الكوكب ورأى ماسره أقبل يسعى فى ظلمة الليل فمتى أضاء له من خليله نور بارق مشى فيه. وإذا أظلم عليه من هيجان الظلمة أى الأضداد على النور استتر عن أعدائه فعندما رآه من برهان خليله وقوة تأييده شهد بالربوبية ولم يشك فى أمره حتى استوعب إبراهيم نور الكوكب. وذلك عند وفاء أيامه وانقضاء مدته. فلما حضرته الوفاة وهو قوله لا أحب الآفلين رفعه إلى حجته وهو القمر الذى حكاه الكتاب عنه أنه رآه. فسكن ما به عند رؤيته من الاضطراب. وسأله الكوكب أن يقيم إبراهيم مقامه وأن يورثه منزلته فعل به الحجة ذلك فلما اتصل به نور القمر مافاق نور الكوكب قال هذا ربى ولم يزل يسعى بين يديه إلى أن حضره الأفول وهو الغيبة فرفعه القمر إلى إمام زمانه وسأله أن يقيمه فى منزلته عنده فأجاب مسألته فصار. فلما حضر إمام الزمان وهو «صالح» النقلة أوحى إليه أن سلم نور النبوة وميراث الأولياء إلى إبراهيم ففعل وأحضر نقباءه وسلم بمحضر منهم وهو ما حكاه الله تعالى بقوله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[3] فعند ذلك قال إبراهيم لقومه

(١) سورة الأنفال: ٢٤

(٢) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٨، ٩.

(٣) سورة مريم: ٤١.

﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] أراد بذلك أنه توجه للذى نصب النطقاء وهم السموات. والأسس وهم الأرضون وإنى برىء من أئمتكم الذين أشركتموهم بأئمة ناطق زمانكم»[2] ولم يختلف دعاة الإسماعيلية فى اليمن عما جاء فى تأويل جعفر والمؤيد أن الكوكب والقمر والشمس هم الحدود الجسمانية الذين كانوا فى عهد إبراهيم وأنه أخذ عنهم[3] وكذلك كما جاء به القاضى النعمانى فى كتابه أساس التأويل[4].

ولم يذكر لنا المؤيد شيئا عن نار إبراهيم وكذلك لم يذكر جعفر شيئا عنها ولكن المؤيد أول النار فى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾[5] فقال «النار من جملة الأجسام المركبة فإنها تؤدى من ذاتها معنيين نورا وحرا وبمجموعتها. تسمى نارا. فالنار التى هى النبوة نور لأهل الإيمان تؤدى بهم إلى عالم النور بالفوز الأبدى والذات ذات واحدة للمؤمنين نورها وللكافرين حرها وثبورها[6]» أما القاضى النعمان فقد قال فى أساس التأويل فى قوله تعالى ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[7] يعنى إجماعهم على رفعه إلى سلطان زمانهم والوقيعة عنده فيه وإحمائهم إياه عليه ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[8] يعنى أنه جعل كيدهم وما أتوا به سلطناهم بردا فى قلبه ولم يستحر له قلبه ولا غضب عليه بل ناظره وحاجه[9] "وقال صاحب الفترات" إن ضد إبراهيم النمرود بن كنعان عند مكاسرة إبراهيم لأضداده بإقامة الحجة عليهم وقطعهم وهم الأصنام المنصوبون لهم فرموا إبراهيم عند ضده بما لايليق بأمثاله وكان النار القوة فيه يحرقوه بما سعوا به عند ضده فجعله اسكاته ذلك بردا وسلاما على إبراهيم[10].

(١) سورة الأنعام: ٧٨، ٧٩.

(٢) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٥٨.

(٣) راجع الأنوار اللطيفة على هامش المجالس ج ١ ص ٣٦

(٤) أساس التأويل ص ١١٧ ومابعدها.

(٥) سورة القصص: ٢٩.

(٦) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٨٥.

(٧) سورة الأنبياء: ٦٨.

(٨) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٩) أساس التأويل ص ١١٨.

(١٠) انفترات والقرانات ص ١٤.

الفلك وطوفان نوح

لم يحدثنا المؤيد عن قصة نوح ولكنه ذكر مرارا طوفان نوح وفلكه كقوله:

فلما طغى الماء أجرى به سفينته ربها فى العباب[1]

مشيرا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[2] فقال المؤيد فى تأويل الطوفان إن الطوفان فى الديانات بتكاثر البدع المحيرة للأنفس المغرقة فى لجة بحار الشبهات فى سائر أركان الدين[3] وقال أيضا فى مقابلة دور نوح بدور محمد صلىّ الله عليه وسلم إن الماء إذا طغى فدخل مواضع اليبس من بيوت الناس وأكنانهم ومخازن رحالهم حتى قلعها وإياهم من قرارة الأرض وغمرهم فمنعهم استنشاق الهواء يسمى طوفانا وكمثل ذلك فإن الأمثال المضروبة الشرعية المختلفة إذا ظهرت وغلبت حتى حالت بين الناس وبين ذخائرهم من علومهم التى هى عدة نفوسهم ككون مايخزن فى البيوت عدة أجسامهم حتى تبلغ من أمرها أن تغمرهم فيصدهم عن استنشاق الهواء اللطيف الذى هو مادة الحكمة التأييدية التى بها حياة النفوس سمى طوفانا يكون فيه هلاك النفوس كما يكون فى الطوفان المائى هلاك الأجسام[4] أى أن الطوفان هو تغلب الأضداد على صاحب الحق الشرعى. أما السفينة فهى دعوة الوصى والأئمة فى إنقاذ النفوس من ضلالات البدع[5] ولذا رووا عن النبى صلىّ الله عليه وسلم! – قوله: "مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق". ولكن صاحب شرح الرسائل أول السفينة بالحجة[6] لا بالدعوة كما قال المؤيد.

قصة لوط

اختلف المفسرون فيما ورد عن لوط بالقرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) القصيدة ١١

(٢) سورة الحاقة: ١١.

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٣.

(٤) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧٠، ٧١.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ٧١.

(٦) شرح الرسائل على هامش المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٦٤.

وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾[2] فذهب بعض المفسرين إلى تأويل هذه الآية أن لوطا أمر قومه بتزويج النساء وقال آخرون بأنه لم يقصد بناته بل أراد نساء أمته وكل نبى أبو أمته. وذهب بعضهم إلى أنه كان أمرهم أن يتزوجوا النساء وأراد نبى الله أن يتقى أضيافة ببناته[3] ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات التى تدل على أن لوطا نبى الله أراد أن يقى ضيفه فأمر قومه بنكاح بناته أو نساء أمته فقد استبشع المؤيد أن يكون المعنى الذى قصد إليه لوط هو الفاحشة ببناته أو بنساء أمته، ولكنه لم يذكر فى مجالسه ولا فى كتبه التى بين أيدينا شيئا عن تأويل هذه الآيات. أما القاضى النعمان فقد قال إن بنات لوط يعنى لواحقه[4] فهؤلاء بناتى يعنى لواحقه يفاتحونكم ويكلمونكم بما تريدون هن أطهر لكم إن كانت مفاتحهم لكم جائزة، وهؤلاء لا يحل لكم أن تفاتحوهم ولا يحل لهم ذلك ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ أى مالنا عند لواحقك من حاجة وإنك لتعلم إنما نريد أن نرد هؤلاء عنك إلى مانحن عليه. و﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ يقول إن استطعت على مدافعتكم وإلا لجأت إلى الناطق يعنى إبراهيم[5].

أما جعفر بن منصور فقد قال: إن إبراهيم لما نصب لوطا وسلم إليه البلد الذى أمره الله بالقيام فيه أمره إبراهيم بالصبر على الأذى وبما يكون من المنافقين من أهل دعوته والقيام بالدعوة الظاهرة إلى إبراهيم والباطنة إلى إسماعيل، فنافق على لوط قومه فيما كشف لهم من أمر إسماعيل وامتنعوا من إجابة ذلك ودفعوا وصية إبراهيم فى إسماعيل وقالوا إنا لا نقيم إلا ظاهر إبراهيم وهو ماحكاه الله تعالى عنهم ﴿ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾[6] فالرجال هم الذكور البلغ وهم الذين عقدوا إلى إمامة إبراهيم أولا وقوله: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[7] عنى الذين

(١) سورة هود: ٧٨.

(٢) سورة الحجر: ٧١.

(٣) راجع هذه التفسيرات فى الطبرى ج ١٢ ص ٥١.

(٤) اللواحق هم الدعاة.

(٥) أساس التأويل ص ١٢٩.

(٦) سورة الأعراف ٨١.

(٧) سورة الشعراء: ١٦٥ – ١٦٦.

اعتكفوا على الأضداد، أى عاد وثمود، وهم الذين استغنوا بمناكحة أصنامهم الجسمانيين عن مناكحة أوليائه الذين يدعونهم إلى الحياة الدائمة الروحانية. ألا ترى كيف أنبهم بقوله ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ يعنى الروحانية ثم أعاد عليهم لوط عليه السلام القول ﴿ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ أى أطهر لكم من أولئك المنافقين الذين لا نصرة لهم بالحياة الأبدية ولا دين يدينون الله به فقال المنافقون لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد. أى أن الذى نريده نحن ما هو عند بناتك بل هو عندك وهو الذى دعوتنا إليه أولا من إقامة الدعوة الظاهرة لإبراهيم. ثم أردف جعفر ذلك ولو كان الأمر على ما تأوله العامة من قول أئمتهم برأيهم وقياسهم لكان خلق الله لنا عبثا. إذ لم يخلقنا إلا لهذه المناكحة الجسمانية دون خلاص أرواحنا، ولكان لوط إنما حثهم على نكاح بناته وأمرهم بالفسق لهم ومنع عن ضيوفه. والله عز وجل قد طهر أولياءه ونزههم عن الخنا والقول به فضلا عن العمل بالخنا وحمل الأمة عليه[1].

قصة داود

جاء فى القرآن الكريم بشأن داود ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] فقال جمهرة المفسرين إن الله تعالى كنى بالنعجة عن المرأة على سبيل التعريض للتنبيه والتفهم. وأن داود كان عنده تسع وتسعون زوجة فأراد أن يتمها مائة فطلب من أحد أتباعه المسمى «أوريا» أن يطلق زوجه ليتزوجها داود وقيل بل أرسل أوريا فى سرية فقتل. فتزوج داود امرأته، فعاتب الله نبيه وارسل إليه الملكين. على أن بعض أهل السنة قال بتنزيه داود عما نسب إليه فقد روى سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب أنه قال: "من حدثكم بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء[3] وقال القاضى عياض لا يجوز أن يلتفت إلى ماسطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك

(١) أسرار النطقاء على هامش المجالس ج ٢ ص ٦٦.

(٢) سورة ص: ٢١- ٢٢ - ٢٣.

(٣) تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٥.

ولا ورد فى حديث صحيح وليس فى قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبى محبته قتل مسلم[1] وفى تفسير فخر الدين الرازى حاصل القصة يرجع إلى السعى فى قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع فى زوجته. وكلاهما مكر عظيم فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه السلام هذا. أما الفاطميون وهم على ما اعتقدوه من عصمة الأنبياء عن المعاصى فقد أولوا هذه القصة إلى نحو آخر فقد قال المؤيد إن الله قد نزه أولياءه عن هذه الفاحشة. وعصمهم من الميل إلى هذه الدنية. فأما النعاج المكنى بها عن النساء فهى حدود وقوابل لعلومه وحكمه فهم إناث من حيث قبول المادة العلمية لا من حيث الأنوثية بالصور الجسمانية. وكان عدتهم تسعة وتسعين فأراد داود تكملة المائة. فظهر على حد من الحدود المشار به إلى زوجة أوريا الذى هو صاحبه والزوجة له من حيث الاستفادة فى الدين لا من حيث الجسم. قال أهل الظاهر إنها كانت تكشف للاغتسال فرأى محاسن جسمها وشعرها. ومعنى ذلك أن هذا الحد تكشف للبيان عن الظاهر والباطن فأعجب داود من حسن بيانه ونطقه وانتزعه من تحت يد صاحبه المسمى أوريا وألحقه بحدوده الذين هم أزواجه[2] تكملة للعدة. وأما الفاحشة فقد أعاذ الله أولياءه منها[3] وبمثل هذا التأويل قال جعفر بن منصور فى كتابه (أسرار النطقاء) والقاضى النعمان فى كتابه (أساس التأويل)[4] إلا أنه ذكر أن داود كان له تسعة وتسعون مأذونا يدعون إليه أقامهم بعدد أسماء الله. وكان أوريا بن حنان بعض دعاته وكان له مأذون واحد فمات أحد المأذونين الذين أقامهم داود فأراد أن يقيم مقامه رجلا لئلا ينكسر من العدد الذى اختاره شىء. فسأل عمن يصلح لذلك فدل على مأذون أوريا. ثم أجرى الحديث على نسق المعنى الذى رأيناه عن المؤيد وختم قوله أيضا بقوله: والذى ذكروه من نظر داود إلى امرأة أوريا وتأمله منها وهى عريانه تغتسل وأنها أعجبته وفتن بها وأنها لما رأته ينظر إليها استترت بشعرها فقد عصم الله أنبياءه

---

(١) تفسير الخازن ج ٤ ص ٣٥.

(٢) الزوجة عند الفاطميين – وأزواج الأنبياء خاصة – لها تأويل باطنى غير المعنى المألوف الظاهر فأزواج النبى فى الباطن حججه القوابل منه والآخذون عنه فكما أن النطفة الصحيحة التى ليس بها مرض ولا علة إذا سقطت فى الرحم السليم فإنه ينعقد هناك صورة جسمية مهيأة لقبول فوائد دار الدنيا فكذلك إذا وقعت كلمة العلم الصحيحة مخلصة من ابتداع الهوى فخلصت إلى نفس زكية لا نفاق فيها انعقدت هناك صورة ملكية مهيأة لقبول فوائد الدار الآخرة (المجالس ج ١ ص ١٥٣).

(٣) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٣٧٦.

(٤) أساس التأويل ص ١٨٣.

ونزهم عن مثل هذا المقام الذى لو قام له وفعله أحد العوام لكن نقصا عليه ووصمة فى دينه، وإنما ذلك أنه نظر فى أمر الرجل وتصفح قربانه وباطن أعماله وأعجبه ما رأى من ذلك[1].

أما قول المؤيد فى ديوانه فى مدح الإمام:

وشـد بـه لسليمـــان ملك وأوتى داود فصل الخطاب[2]

فنستطيع أن نفسر هذا البيت بقول على بن الوليد فى كتاب كنز الولد أن سليمان كان فى ملك عظيم حتى أخذت الحوت خاتمه من يده فافتقر مدة طويلة إلى أن رد الله عليه خاتمه[3] ثم أجرى مقابلة بين سليمان وعلى فقال: «فعلى سليمان الدور وصاحب الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده من أهل دور الستر الملقى على كرسيه جسدا، فكرسيه علمه التأويل المعنوى والجسد الملقى عليه الظاهر الذى أقام به الأول (أى أبو بكر) وهو حوته الذى أخذ خاتمه أى خلافته وملكه حتى ردت عليه». أما جعفر بن منصور فقد قال «إن سليمان بن داود سأل الله أن يعطيه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأجاب الله سؤاله وأطاع له الجن والإنس وعلمه منطق الطير وآتاه من كل شىء فأعجب بملكه وما أوتيه فعرضت عليه ولاية علىّ فتوقف عن ولايته فسلب الله ملكه وابتلاه بالجسد على كرسيه وسقطت نبوته أربعين يوما حتى آمن بعلى وأقر بولايته فرد الله عليه ماسلبه وكشف عنه بلاءه»[4]. أما المؤيد فقد قال «إن ملك سليمان هو الإمامة والحكمة»[5] وقال القاضى النعمان فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ ﴾ أى اختبرناه بالمحنة وألقينا على كرسيه جسدا يعنى تغلب متغلب من أهل الباطل على دعوته، سماه جسدا أى لاروح للحياة الحقيقية فيه. ثم أناب يعنى سليمان أناب من ذنب كان قارفه و﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[6] فأهلك الله عز وجل عدوه ذلك ووهب له الملك الذى سأله بقوله لا ينبغى لأحد من بعدى يعنى الإمامة التى لا ينبغى لأحد غيره فى حياته[7] وقال الغزالى

(١) أساس التأويل ص ١٨٤.

(٢) القصيدة ١١.

(٣) كنز الولد على هامش المجالس ج ١ ص ١٢٤.

(٤) سرائر النطقاء ج ٢ ص ٥٦.

(٥) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥٢.

(٦) سورة ص: ٣٥.

(٧) أساس التأويل ص ١٠٧.

فى كتابه الرد على الباطنية[1] إن الباطنية قالوا إن الجن الذين ملكهم سليمان بن داود باطنية ذلك الزمان. وحدثنا جعفر مرة أخرى أن داود أمر بالحكم بين الناس فحكم وأعجب بما صار إليه فعرضت عليه ولاية على فتوقف فابتلاه الله بما خطر بقلبه حتى أقر بولاية على ورجع إلى طاعته وختم هذا القول بأثر عن على "فما من نبى إلا وعرضت عليه ولايتى فمن سارع إلى الإجابة لى الولاية كان من المرسلين ومن أبطأ عن الإجابة بولايتى والإقرار لى كان غير مرسل ألا إن ولايتى ولاية الله وهو قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[2] فهى ولايتى فمن أقر بها فقد أقر بالله واعترف بواحدانيته وأقر لمحمد رسوله[3].

قصة يوسف

عرض المؤيد فى ديوانه لما جاء فى القرآن الكريم بشأن يوسف الصديق بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[4] وقد اختلف المفسرون فى تأويل هذه الآية على أن أكثرهم قالوا بأن الهمّ هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه. وروى البغوى عن ابن عباس أنه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن[5] وذهب المفسرون الذين يعتقدون عصمة الأنبياء كفخر الدين الرازى إلى أن يوسف كان بريئا من العمل الباطل والهم المحرم[6] أما الفاطميون فقد أولوا هذه الآية على طريقتهم. فذكر القاضى النعمان أن يوسف فارق الشام الذى كان فيه يعقوب إماما ولم يظهر يوسف نسبه، وأقام مع القوم الذين قدموا معه وفشى خبره وانتهى إلى الملك. فأحضر القوم الذين أتوا به وسألهم عنه فأنكروه. فأعطاهم دراهم فأطلعوه عليه وأحضروه إليه وفاتحه فأعجبه ماعنده فضمه إلى حجته الذى أهله لموضعه وهى امرأته التى ذكرها الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[7] يقول لعلنا أن ننتفع به أى بعلمه، أو نتخذه ولدا أى نعرفه إلى ما نحن عليه فيكون ولدا فى الدين وذلك لما رآه

(١) ص ١٣.

(٢) سورة الكهف: ٤٤.

(٣) سرائر النطقاء.

(٤) سورة يوسف: ٢٤.

(٥) تفسير الخازن ج ٣ ص ١٢

(٦) تفسير الرازى

(٧) سورة يوسف: ٢١.

من بيانه وحسن توجهه. وذلك هو الحسن الذى كان يوسف عليه السلام يوصف به، فضمه حجة الملك إليه وحازه إلى نفسه وجعل يفاتحه ويعجب بما عنده ويعظمه ويكرمه وعز جانبه به وقوى أمره. ولما بلغ أشده يقول لما انتهى إلى حدود التأييد آتيناه حكما وعلما يعنى اتصال التأييد به ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أى أراد منه الذى هو عنده. وهو حجة الملك المؤهل لمكانه أن يطلعه على علم الحقيقة لما رآه يرمز به. ولم يكن يوسف قبل ذلك يفاتح إلا من قبل الظاهر الذى يؤيده العلم الحقيقى الباطن فلما اتصل به التأييد رمز به واستشرف الذى هو عنده إليه ونزعت نفسه نحوه وأكد له على نفسه أنه لا يقبل من أحد إلا منه ولا يطلع على ذلك أحدا غيره وذلك لقوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أى أقبل على ما أدعوك به قال يوسف ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ بما منّ بتأييده ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ يعنى حجة الملك وهم بها أى هم به أن يفاتحه بالعلم الحقيقى، وهم بذلك له لولا أن رأى برهان ربه أى تأييده أن يضع الحكمة فى غير موضعها وعلى غير نظامها وحدودها وترتيبها. وأما ما نسبه أهل الظاهر إليه من أن امرأة الملك فى الظاهر راودته وهمت به وحل بها وحل الهميان وقعد منها مقعد الخنا فقد عصم الله أولياءه من هذا إنه هو الزنا الظاهر[1] هذا هو تأويل القاضى النعمان ولا أدرى رأى المؤيد فى ذلك فإنى لم أعثر على تأويل لهذه القصة فى كتبه التى بين يدى وكذلك لم يعرض جعفر بن منصور إلى تأويل قصة يوسف فى الباطن كما فعل فى قصص الأنبياء، ولكن جاء فى كتاب الكشف فى تأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال جعفر إن البرهان الذى رآه هو إقبال الحجة إليه ومن التفسير الظاهر فى هذا أنها همت به أن يأتيها وهم بها أن يقتلها أراد أن يذبحها لولا أن رأى برهان ربه علم بما علمه الله أنها لم تستوجب الذبح ولم يجب له عليها ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ فالسوء ما أراد هو من ذبحها فى غير وجوبه والفحشاء ما أرادات هى. وهذا أحسن ما يقول أهل الظاهر وأقرب إلى المعنى الباطن. ثم ساق جعفر المعنى الباطن بأن امرأة العزيز رمز على وزير له. فلما رأى بيان يوسف وهو حسنه دعاه إليه. وهم يوسف بأخذ العهد عليه لما رآى من رغبته لولا أن رآى برهان ربه يعنى نظر فى أمر الله وحدود دينه أنه لا يجب

(١) كتاب أساس التأويل للقاضى النعمان.

للوزير ما سئل من العلم وكشفه له حتى يؤخذ عليه العهد، والعهد لا يكون إلا لإمام يعاهد لنفسه أو يعاهد له حجته أو دعاته. ولم يكن يوسف مطلقا فى ذلك الوقت فى أخذ العهد فأمسك لهذا البرهان[1] وجاء فى عيون المعارف إن أولى العلم فسروا هذه الآية بأن يوسف لم يكن يخطىء ويأثم بل كان معصوما ولم يكن مأثوما ثم قال فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ هم بها فثبت أن همه بها لم يكن أصلا[2] ولكن قول صاحب العيون ليس بتأويل باطنى نعتمد عليه بل هو تحايل. وإن صح هذا التعبير - لنفى المعصية عن يوسف.

زواج النبى بزينب بنت جحش

وقد تهكم المؤيد بجهود المفسرين الذين قالوا فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[3] فقد ذكر المفسرون فى هذه الآية وسبب نزولها من وقوع محبة زينب بنت جحش فى قلب النبى عندما رآها وإرادته طلاق زيد لها مما لا يليق بأن يرمى به النبى من النظر لما نهى عنه[4].

وكنت أود أن أعرف تأويل الفاطميين لهذه الآية إلا أنى لم أجد فى أى كتاب من كتبهم شيئا عن ذلك إلا ما أورده المؤيد فى ديوانه[5] من تهكمه بالمفسرين ودفاعه عن النبى الكريم.

هذه هى أجزاء من قصص الأنبياء التى عرض لها المؤيد فى شعره ولكنى أستطيع أن أقول إن المؤيد وغيره من علماء المذهب الفاطمى اعتقدوا أن النبى محمد صلوات الله عليه وهو خاتم الأنبياء والمرسلين قد جمع إليه جميع النبوات السابقة له. وأن جميع شرائع

---

(١) راجع الكشف على هامش الحقائق ج ٢ ص ٤٣

(٢) عيون المعارف ص ٥٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٤) راجع ما كتبه الطبرى ج ١ ص ١٤٦٠ - ١٤٦٢ فى تاريخه (طبعة بريل) وما كتبه فى تفسيره ج ٢٢ ص ٩ - ١٠.

(٥) القصيدة الأولى

الأنبياء قد اجتمعت فى شريعة محمد[1] وقد قال المؤيد فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2] هذا كمال الإنسان من الخلقة الطبيعية فأما كمالها من جهة الخلقة الدينية النفسانية فالسلالة مثلها مثل آدم والنطفة مثل نوح والعلقة مثلها مثل إبراهيم والمضغة مثلها مثل موسى والعظام مثلها مثل عيسى واللحم مثلها مثل محمد وعنده كمال الخلقة وتمام الصورة. كما أنه عند انتهاء التصوير إلى اللحم يقع الختم على الصورة أن تقبل شكلا آخر غير ما هو لها كذلك إذا انتهت النبوة إلى محمد يقع الختم من أن تغير إلى غير ماهى عليه فمن ذلك سمى خاتم النبيين[3].

وروى عن بعض الأئمة أن العلم الذى نزل به آدم وما فضل به النبيون فى خاتم الأنبياء وفى عترته[4] وهذا يفسر لنا قول الفاطميين إن محمدا آدم دوره ونوح دوره إلى آخره واحتجوا فى ذلك بقول النبى: أنا دعوة أبى أبراهيم[5] وليس النبى محمد وحده هو آدم دوره بل كل ناطق هو آدم عصره[6] كما يفسر أيضا قول المؤيد بعد أن سلم على جميع الأنبياء:

سلام عليك فمحصولهم لديك أيا صاحب القاهرة[7]

وإذن فالمؤيد حينما ذكر الأنبياء فى ديوانه كان يقصد إلى مقابلة دور النبى محمد بدور كل من سبقه من الأنبياء، وأن هذا النور الذى خلقه الله قبل خلق البشر ما زال ينتقل من ناطق إلى ناطق إلى وصى حتى اتصل بالإمام، وهو النور الذى توسل به الأنبياء فى أدوارهم[8].

ويخيل إلى أن هذه العقيدة لم يقل بها الفاطميون وحدهم بل شاركهم فى ذلك الإثنى

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١١٦.

(٢) سورة المؤمنون. ١٢ - ١٣ - ١٤.

(٣) المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٧

(٤) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٤١.

(٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٤٧

(٦) سرائر النطقاء على هامش المجالس ج ١ ص ٢١

(٧) القصيدة ٤١.

(٨) روى عن النبى قوله (كنت انا وعلى نورا بين يدى الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم نقل ذلك النور إلى أصله فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى قر فى صلب عبد المطلب فقسم قسمين وقسمنى فى صلب عبد الله وقسم عليا فى صلب أبى طالب) (كلامى بير ص ٨٤)

عشرية ففي بحار الأنوار[1] إن الله تعالى أشار بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾[2] إن الله تعالى أخذ من بني آدم ميثاق ولاية الأئمة من ذرية محمد لأن نورهم خلق قبل خلق العالم. ونجد أيضا في شعر ابن هانيء الأندلس شيئا من هذا المعنى كقوله:

وبـذا تلقـى آدم مـن ربـه عفوا، وفاء ليونس اليقطين[3]

وقوله:

من شعلة القبض التي عرضت على موسى وقد حـارت به الظلمـاء[4]

ونلاحظ أن الفاطميين اتفقوا مع الصوفية في نظرية «النور المحمدي» التي تجعل جميع من آدم إلى محمد شخصية واحدة غير أن الشيعة قالوا إن النور المحمدي انتقل بعد النبي إلى علي وورثته من بعده.

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ١٩ – ٢٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٣) تبيين المعاني ص ٧٣٣.

(٤) تبيين المعاني ص ١٦.